أحجار
الغابة السوداء

منحوتات

منحوتة أنتِ من الندى والماس
صدرك خلاصة الحكمة التي لا تعرف اليأس
كلماتك ما لها من مثيلٍ خالصٍ
ماؤك الذي يخرج من بين الصلب والترائب يصنع راية من الأعاجيبْ .

هسيس

فتشت عن آثار نعليك بين الحصى
سمعت خطواتك وهي تنتقل بين الفراشاتْ
كانت السحب التي تنفرش في الأفق
مخدة لنعليكِ الكريمتين.

صَدَفة

في الليل أتقلب على فراشك الرحيم كالصَّدَفةِ
في الظلمة الغاوية كانت عصافيرك تملأ الأفق بالعسل والنسيان
فيما أشجارك التي تصطف على الجدرانْ
تفرد شعرها للريح لكي تصنع لك مروحة من الصيف الكليمْ.

طيات

قومي أيتها الآخذة في النوم
فما زال عليّ الفجر بعيد ونحن في أول الليل
والنجوم تتلفلف بجسدك الذي ينام جنب النهارْ
وأنا في طيات حلمك أتلظى .

حجارة

في السماء التي تشبه الحجر الكريمْ
كانت النجوم تلمع والشهب تتراص إلى ما لا نهايةٍ

فيما كانت الأرض تلثغ عريانةً
في ردائها الذي يتلفلف بالدم.

أيقونة

أيتها المرأة التي تشبه الآس واللازورد
صدرك نافورة من حنانات
جسدك أيقونة لقديسين يقدمون الصلوات والأبخرة لإله من ذهب
بحثًا عن منجمك الذي يرقد هناك تحت القبةِ.

سماع

في صلواتي التي أنفقتها طويلاً أمام باب غرفتك
كان صدى أنفاسك يتردد عبر الأودية والمسالك
ورائحة شعرك تسمع من بعيد
أما عن عينيك فلؤلؤتانِ ومجرة وبحرْ.

أصوات

يا لطعم شفتيك الجهنميتين
يا لصوتك الذي يذكرني بالجنات والسحر
يا لشهيقك الذي يتفجر من الفردوس كالأنهار
يا لشعرك الذي يظلل الليل.

سلالم

على السلالم المتآكلة للفراغْ الباهت
كان الزمن يسكن في خيمته اللانهائيةِ
وعلى مزامير الأفق الجرداء
كنتِ تنسجين كلماتك التي تشبه العدم والنقانق .

لا يقين

بين الجنون والحكمة جسدك يقف عارياً
بين اليقظة والنوم عصافيرك تزين الأفق
بين اليقين واللايقين كلماتك بعدد الحصى والرمل
أيتها الطاغية الأخاذة أين هي ألويتك فننزع الدروع.

إيقاعات

الليلة الجميلة مضت بلا منغصات أو مطاراتْ ولم يتبق على السرير الأخضر
سوى رائحة العرق والمطر وقافلة صغيرة من الذكريات
لم يتبق من الجسد الجميل الحلو إلا السحر والأساطير
ولم يبق على الجدران سوى أغنية وحيدة بإيقاع مختلف هو الزمن.

ينابيع

فيما كان غناؤنا الذي يشبه حبّ الكواكبْ
فيما كانت لغة الأصابع التي تفرّق بين الحلم واليقظةِ
فيما كانت عصافيرك التي تخرج من الينابيع والبحرْ
فيما كان هلاك الجسدين – معاً – على طاولةٍ من حنانات واردواز.

إوز

الشمس التي تطلع من المحيط وراء خط الأفق
مياه البحر الساكنة التي تتكسر على جسمك كالكهرمانات
ساعداك اللذان يلتفان حول جسمي كعصافير اللذة
مرايا أرجوانية لإوزك الذي يسبح في بِرْكةْ الله .

ذهب

حينما وقفتُ وراءك في الكنيسة المثلثة عصر ذلك اليوم ورحت توقدين الشموع
كانت العذراء المقدسة تنظر إليك بعينين واثقتين ووجه يشع بالرحمة
إذ ذاك رأيت دموع عينيك اللتينِ تنسِلانِ من القلب
وأنتِ تتحولين إلى فراشةٍ ووجهك يلمع مثل غابة من الذهب.

صيد

على صليبك الأرجواني كتبت اسمي بأحجار الرغبة
على جسمك الذي يشبه خيطًا من الرخام والماس
تركت لجسدي أن يسبح بمفرده في البحيرة
أنا وأنتِ رحنا نصطاد السمك في الأعالي.

ارتعاشات

الرجفة التي تدب في الأصابع
الندى الذي يسري في الروح بدلاً من الخبز
انتظار الفجر على سن إبرةٍ
أليست هذه هي شهوات جسدك الذي لا يفكر سوى في الفراغ.

ركوع

على طاولة المناوبات الليلية
كان ثمة عصفور يركع
فيما تأخذ الرغبة في الطيران والتهفهفِ
ما الذي يجمع الأبيض والأسود في المنجم.

سبل

إذ تتذكر المرأة سبل عشاقها
تترك لجسدها الذي يتمدد على الأرائك
أن يناقش الشهوة الطاغية بشفتين نجميتين
وفم يمتلئ بالحليب والبراءة.

الأغاني

هذه الطاولة التي تكتظ بالأشعار والأغاني
كانت بالأمس شجرةً وتحلم بالربيع

وقبلما كانت ترحل إلى النهر في الفجرْ
كانت تترك لأحلامها الراسخة أن تتمشى على حائط الموت.

حقد

قواقع فارغة
ترقد في الأعماق
ورغم ملايين السنين
تتطلع إلى الشمس بعين حاقدة.

تطلَّع

بعينين باردتين
ينظر الرجل الواقف في النافذةِ إلى الشارع
فيما تهبط نجمة ضالة
على طرف قميصه.

آلهة

الآلهة
حتى الآلهة ينظرون إلى العالم من شرفته الواسعة
كثيراً ما يضحكون من هذه الميلودراما
التي تبدأ بالحياة وتنتهي بالموتْ.

وقف

نظراً لأنني من سكان هذا الوقف
وقفت ذات يوم أمام شاهدة قبر
ورحت أسجل أسماء بعض الراحلين
لم يكن هناك غير شجرة صبار تتطلع إليّ بعينين ذاهلتين.

هجران

أنتِ بعيدة عن جسمي تماماً
لكن عصافيرك لا تهجر الغرف مطلقاً
في الليل يطلع وجهك السماوي كالقمر
فيما جسدك يعزف بمفرده موسيقا الغرفةِ.

مسيح

حينما تحدق فيّ الوحدة بعينيها الشرستين
أصنع لنفسي جلجثة وأصعد إليها درجة إثر درجةٍ
وأنتظر حاملي السيوف والبلط
لأصنع من نفسي ذبيحة في مملكة الوطء هذه.

نزوات

أغلقت البابَ وقدت قميصها من دبرٍ
ونادت على جسدها الذي يتحرش بقطيفة الهواء
فيما راحت تقول لنفسها وهي تتفرس عصافير الوحدة
تسكرينني يا امرأة .

برودة

هنا ، على البحر والرمل
أنا والأبدية نجلس كأصدقاء
تحت شمس باردة
ونطفئ الألم.

تحليل

أنفك طائر الليل الذي يحلق في البعيد
أصابعك شمعدانات وبلا نهايةٍ

صدرك يصعد ويهبط على أصابعي كالتفاحات
يا لتلك اللذة التي تصعد من شوارعك.

استقالات

أستقيل من هذا الليل
أستقيل من كل هذا النهارْ
أنطفئ وأضيء على رمالك الساخنة
ألم تكن شمسك الرائعة خزان حنانات وملاعب صيف.

الأحد

اليوم أحد
وأجراس الكنيسة المعلقة لا تزال تدق في الأعالي
حسنًا ألا زال الرب يقف بمفرده على الجلجثة
أذكر أنك كنت الوحيدة التي تصرخين بملء فمك : اغفر لهم يا أبي.

رواقية

مناطيد من ورق
وسماء نازفة
تلك هي حكاية يكررها الرواقيون دائمًا
على ظهور حميرهم الوحشية التي تبتكر الألوهة.

سلحفاة

السلحفاة التي تنام على جنبها الأيمن
دائمًا ما تتقلب في الليل
لكي تتأكد أن السماء في موضعها الآمن تمامًا
وأن الأرض مرحاضها الغويط.
انزلاق
ما الذي يفعله النعاس الفضفاض

لرجل يجلس على كرسي متحرك وفي يده منجنيقاتهِ وبكرات خيطه
وفيما ينظر إلى السماء التي تنزلق ببطءٍ نحو البحرْ
تتساقط السنوات حواليه كالوطاويط وحَب السنط.

عكاكيز

فيما تتحرك كل هذه السماء القعيدة على المرآةِ
ليس هناك سوى عصفور وحيد
يحك جناحيه المتصالبتين بالأرض وينظر إلى الشمس الباردةِ
التي تتوكأ على عكازها في الظهيرةِ.

عماء

الحياة التي نحسبها عمياء وغير مجدية
كثيراً ما نضعها في الصناديق الجانبية لغرف الروح
ونغلق عليها بالأقفال والمفاتيح
خشية أن يسرقها اللصوص من عنبر الليل.

تنقل

تنقلي.. تنقلي أيتها الفراشة العمياءْ
فعلى سريرك الذي تصنعينه من خزٍّ وأرجوانات
سوف يأتي الشتاء بكامل آلاته ومعاوله
لكي يلف يرقته الشاهقة حول روحك تمامًا.

خيوط

المجد لك أيتها السيدة
التي تجلس في باحة الدار ليلاً بمفردها
وهي تمسك بخيط إبرة ومغزل
لكي تصنع لأحلامها أغطيةً وبطاطين.

آثار

على الصخرةِ الإلهية قمر ينزلق
وآثار ثعالب تتشقق
ولم يكن هناك ثمة شيء
غير الهواء الذي يقف مصلوباً على سن إبرة.

مدي

موجة تروح
وأخرى تجيء
الصمت مدية تحز كبد الظلامْ
وها هو ذا القمر الصيفي يتنزه وحيداً على منحدرات الليل.

تحرر

الشمس التي تغيب طويلاً في البحر
وترقد هناك في الأعماق
في انتظار صباح آخر مضيء
لتتحرر من أسر الجنيات والذهب.

قبور

ما الذي تفعله هذه الفراشة العمياء
سوى أن تظل طول عمرها تفرز رغاءها الشفاف
لكي تصنع لنفسها أخيراً
قبراً من الحرير الخزّ.

غرقى

بأعلى صوتي ناديت
أيتها الحبيبة باللذاتْ

ماذا يفعل كل أولئك الغرقى
بجسدك الذي ينهمر بين السماءِ والأرضِ كالقصعةِ .

تأسيس

الشجرة الوحيدة التي تؤسسينها عبر العالم
يقف عليها ألف طائرٍ وطائر بصناجات ومواويل
ترى ماذا تفعل كل تلك الموسيقا
التي تخلفينها وراءك على الطرقات كالرمل.

أكواب

سهرك حميّ
وصلواتك أودية بعصافير ومهابط
ماذا تفعل نظرتك الحكيمة هذه
في كوب مائي الذي يندلق.

نخر

تحت نعليك يهتف الحصى
في صوتك رغبة جامحة وغسق
أيتها الفرسة النبوية
ألا تتوقفين أبداً عن الصهيل والنخر.

أقفاص

إذ مررت قرب جسمك الذي يشبه نبعـًا من الصهيل
كان قلبي الذي يمتلئ بالأغاني والحكايات
يقف مصلوبـًا على منجميْ صدرك الإلهيين
كأغنية يتيمةٍ في قفص.

إشعاعات

السلام لكِ أيتها المرأة الممعنة في القسوة
فلا الليل بكل أبهته وبساتينه
ولا النهار بكل عنفوانه وحججه
قادر على لمس جوهرتك التي تشع هناك في الأعالي.

احتلال

عندما أفتح النافذة لا أرى غير صورتك
عندما أغلق النافذة لا أرى غير صوتك
أسأل نفسي أية أسلحة عنكبوتية تملكينها أيتها الواهبة الموهوبة
لكي يحتل جسدك كل هذه المساحة بين السماءِ والأرض .

طاولة

أحيانًا ما أدحرج القمر على طاولة الليل البردانة
أحيانًا ما أدحرج السماء على مقعد من نحاس وقش
فيما أصعد خلفك كالمناطيد
لكي أمسك بأساطيرك العالية أو طيفك الذي يمر.

التصاق

خطوتك بمفردها فجر
يعرف كيف يفسّر قانون الجاذبية
جاذبية الروح التي تعرف كيف تلتصق بالجسد والفم في إناء واحدٍ
بشرط أن تكون عينك هي المدارات.

غجرية

صوتك ناقوس يرنُّ
في فضاء العالم الحربْ

ضحكتك التي تجلجل تكشف عن وجه الشمس العريانةِ
أي غجرية أنت في ثوب راهبة؟!

خاتم

النهر الذي تنزلين إليه مرتين في آنٍ واحدٍ
السماء التي تكتبين على جدرانها الشاهقة أسماء عشاقك ومريديك
الزمن الذي تلبسينه كالخاتم بين إصبعيك وتنقشين عليه بعض أغنياتك
كلمات مرحة لروحك التي تتأجج.

ترويض

المرأة التي تروض الغبار
وتنام ملفوفة بأغنياتها
في الصباح تفتح أبوابها لليل
وهي تكنس من على أبواب الدار أكوام العصافير القتيلة.

نحت

الزمن بآلاته الخشبية ومعاوله المسننةِ
يضرب على هاوية الروح الرنّانة
ولا يترك عليها سوى بقع حبره الجاف
وأنيابه التي يخرّ منها الدم.

مرثية

نحن الذين على مشارف الموت
نربط كلماتنا على هاوية الريح
ونعلقها بحبال من النسيان الخالص
في رحلة قد لا نعود منها أبداً.

مناديل

صلاة واحدة تعرفها العاشقة تفاحات الرغبة
صلاة واحدة يعرفها العاشق عنب الجسد
صلاة واحدة تعزفها الريحْ
مناديل الوداع الفضفاضة.

عروش

أيتها المرأة : شفتاك من عنبٍ وكرز
قولي لي أيتها الحكيمة في الليل :
لماذا يهرب القمر دائماً إلى عينيك
وكلما أراد أن يتخفف من عبء الجسد كله؟

اقتراحات

في صوتك دائماً ما تصرخ الرغبة
الرغبة التي تمتلئ بزهور السماوات
وزنابق الأرض
جسدك يقترح إعادة ترتيب العالم.

مدارج

في الطرق البعيدة وعلى مدارج الجبال والنمل
في الطرق الأكثر صحواً لمنحدراتنا الرحبة
سوف يتوقف طائر الراقوف الأزرق
ليحكي عن عنف الساعاتِ ومائها العنكبوتي الأسود.

هموم

خصلة من شعرك
ونظرة – وحيدة – من عينك التي تتركينها على الطرقات

مثل معصم يد أو ساعة استوائية
رجل محموم يحمل هموم جسدك.

محارة

محارة فارغة وتسكن الشمس
إنها الهاجرة
سوف أحكي لك عن غربة الساعات التي تتوقف عن الدوران
لكي تتأمل غيوم شمسك.

خوف

ثمة نافذة وبيت
وطائر يقف بالوصيد
ورجل يركن دراجته التي تصعد الهواء بعجلاتها الأربع
على سقالةٍ من خوف.

وسادة

تكشفين عن وسادة الزمنْ
أنت أيتها الرغبةْ التي تكتظّ
مساكنك العالية
زجاجة وشمس.

شيخوخة

في سنوات الرغبة والجنون
كنت أخبئ كل هذه النجوم في جيبي
الآن وبعد أن تقدم بي العمر
أصبحت أطأ كل تلك السنوات بقدمي.

الطريق

علام يدلنا هذا الطريق
إن لم يكن على عدد أنفاسك التي تخضرّ في السكك
مثل قمر جريحْ
فوق ساقية من ألم.

صداقة

الألم والمعرفة صديقان
ما إن نشرع في فتح كل تلك النوافذْ
إلا ويتشقق الجلد وتتساقط الأسنان
ولا يبقى هناك سوى الهاوية التي تجدّف.

أغنية

كلّك جميلة يا حبيبتي كلك جميلة
شفتاك تحت نقابك وعيناك حمامتان بريتان تهدلان في الأفق
خصرك عصير كواكب ووسوسة حلي مسبوك
جواهرك لا تشع سوى بالليل والناس نيام.

شسوع

ليل الرب شاسع ولا حد له
مسكونة هي خطواتك بإيقاع الصحراوات
الزمن إناء فارغ ولا مقياس له سوى نظرتك
أنتِ وحدك من يسكن الغابة.

عنكبوتات

في النفق المظلم للعالم
في الفضاء الذي يحتوي على جسدك ويمتلئ بصناجات نعليك

يتأهب الفراغ بأجنحته العنكبوتية
لكي يقبض على أسماكك التي تتقافز .

متاهة

من أي مكان تنبع عين الماء
التي تتفجر خلفك وأنت تسيرين في السكك كالفراشات
وها أنتِ ذي مثل طائرٍ يأتي من الشرق
ولا أثر لخطواتك سوى المتاهة.

فخذ

ترسمين على فخذيك رأسيْ نهد بعدة فهود صغيرة
فيما عشبك البري ينمو وبغزارةٍ
على منحدرات جسمك الجبليةِ
يا لهوائك الذي يكتظّ بالإثم والبراءة.

ترميم

نحن الذين ولدنا فوق ضفاف الأنهارْ
وتحت أسقف بيوتنا الواطئة كنا نقرأ عن العشبْ
كيف يرمم كل هذا النهارْ
وكيف يجعل من فم الليل أغنية جافة.

يرقة

حتى الشمس التي نصنعها بأنفسنا وتجلب لنا الدفء
تقف هي الأخرى مصلوبة فوق جبل الألم المدنس
الذي يخرج من أفواهنا الجريحة
مثل يرقة تنفعص.

رفرفة

هذه الطيور التي ترفرف فوق رأسي بالليل
وهي تحمل في مناقيرها الذهبية صلواتها الجامحة
وأغنياتها التي تستخلصها من التراب والعدمْ
أعرف كيف أهدهدها وهي ترقد بجانبي في انتظار لحظة المفارقة.

أبراج

من يقول إن هذه القبرة
كانت تسكن في أعلى برج من أبراج هذه الشجرة
التي ترقد مقطوعةً
على شفا جرف هار.

جدران

المرأة التي تحدّق مليـًا إلى الجدرانْ
كثيراً ما يصيبها اليأس الرنان وهي تقف عارية أمام زجاجة اللذةِ
فيما تترك لجسدها المليء بالحكايات أن يتذكر
كل أولئك الغزاة الذين مروا من تحت كل هذه الجسور.

صورتها

نجمة طائشة بلا شك وبلا نوافذ
تلك التي تقف شاخصةً في كبد السماءْ
سوف تأتي الشمس هذه المهرة البرية
لتسترد صورتها من المرأة دائمـًا.

قارة

رمل في المحارة
يتذكر وعلى قلق كل تلك الأيام الجانحة

التي كان يرقد فيها في الأعماق
وهو ينتظر دمعةً أكيدة حتى تتشكل قارة اللؤلؤ.

طنين

لم يعد أمامه في هذه الكأس
غير ذبابةٍ تطن
هكذا مضى أغلب الوقت
وهو يغرق السماء بين إصبعين من أصابعهْ.

فريسة

شجرة واقفة تخربش الريح بأصابعها الخمس
على سقالة من ريح
وها هي الأوراق تكتب تاريخ سقوطها على الأرض
ولم يبق أمام تلك الشجرة إلا أن تنام تحت حدقة النسيان.

نقش

نحلة الموت
بمعاولها الصلبة
تهدم جدران الزمن
ولا تترك سوى نقش بارز على فوهة قبر.

سفر

أيتها السماوات
كوني رحيمة بنا
فلا الموتى يريدون أن يناموا
ولا الأحياء يرغبون في السفر.

جدل

هكذا
وجدت نفسي فجأة
أتأمل الحياة
من شرفة الموت.

نزوة

في الليل كانت العصافير تهبط في السكك
والشمس تمسك بيديها الغرينيتين حجراً أحمرْ
وتحك به كعبيها البرونزيتين
لتمسك بشفتيها سمكة الماء التي تنزلق!!

مراعي

بيتك الذي تحرسه الغزلان وترعي فيه الآيائل
برج بابل الصاعد فيه كالنازل
والنازل إليه كالصاعد
وأنتِ غارقة في الغي.

ربوة

كلما خرجت من غيمةٍ أهتف
صهٍ صهٍ أيها العبير
كلما دخلت في غيمة أهتف أيتها السواقي توقفي عن الألم
وجه حبيبي أحمر وأبيض ومعلّم بين ربوة.

قضم

أقضم الفراغ
أرصص الزمن أمامي مثل تل من البطاطس
وأنكش الحوائط المجاورة لروحي تماماً
بعدة أعواد من السنطْ.

شمعدانان

على باب الكنيسة المجاورة
ثمة شمعدانان يشعلان الهواءْ
وإذ أفتح الباب كان السيد على الجلجثة يقف متبوعـًا بالفراشات
والمرأة التي تغسل القدمين تصنع من الدموع جوقة من العصافير.

انعكاس

العالم مرآة
تعكسين عليها شمسك
فيما يبقي لظلي أن يقف في العراء الطلق ككناس وأعمى
وبعيداً عن نطاق الجاذبية.

أنت

نظرة واحدة من امرأة غريبة
أججت مشاعري
ذكرتني بعينيك اللتين خبأتهما في ظل فراشة
على شاطئ النهر تلك الظهيرة.

رغوة

من على أصابعك تخرج الفراشات جائعة
من على صدرك يخرج الربيع الذي يتجول في الحقول بأبهةٍ
من على شفتيك الكرزيتين تكتسب الشمس رغوتها
فماذا لو كشفت عن بقية الينابيع.

فقط فجر

لا أريدك لي
لا أريد جسمك الذي تزينينه بالشهوة

لا أريد بيتك الذي يمتلئ بالعصافير
فقط أريد شمسك التي تشع دائمـًا في الليل.

الفأرة

ذات ليلةٍ كنت سكرانـًا
فأجلست القمر على ركبتي
وقلت للأرض : ها أنت ذي أيتها الفأرة العمياء
لم يعد غير فأسك التي ترنُّ أنا حطاب في متاهة غابتك.

حياتي

حياتي مدببة مثل حجر مسنون
أحيانـًا أربطها في حبل غسيلٍ
مثل طائرة ورقية
وأقول لها حلّقي في الأعالي أيتها الفقمة الورقية عبر اللاشيء.

انفراد

كثيراً ما أقطع الليل بمفردي
حتى أصل إلى جزائره الغربية البعيدةِ
هناك حيث لا تقبل الشمس
ولا يمكن للقمر أن يدس أنفه.

جسور

بين جزر ومد
تقع الأرض المشتركة التي تفصل ما بيننا
وكل منا يطيّر طيوره الجريحة
حتى تتقابل مسرعةً على جسر الرغبة الهش.

برودة

انتظريني أيتها المرأة العاشقة
فسوف أجمع بعض الحطب و القليل من الزيت
لأصنع لك عشاءً من اللذةِ الساخنة
لا تمحوه برودة المواسم.

مطرة

أيتها المطرة كم مرة أتيت إلى الأرض
وفي ثوب عاشقةٍ
أيها الزمن النقال
كم ركبت أحصنة من خشب.

نرد

عندما كنت ألعب النرد أنا والوحدة
كانت الجدران تلتف حولي وتلتصق بأصابعي وهي تصفق
وذات مرة اكتشفت أن الجدران نفسها أخذت تمارس اللعب
فيما أنا والوحدة في غرفةٍ جانبية نتجادل حول فلسفة الشك.

الثلاث سمكات

الليلة، الليلة فقط وبعد عدة ظهيراتٍ من الجوع
تناولت عشائي أخيراً كان عبارةً عن حصوةٍ من ملحٍ مجروش
وسمكةً من نشارةٍ وفحمْ
وعدة أرغفة من طحالب وفطرياتٍ فوق طاولةٍ من حصى.

حرائق

أوقدوا البحر للسفن كي تمر في المضيقْ
فلم يعد على رصيف الميناء غير أغنيةٍ يتيمةٍ وقمرٍ ضرير

هذه الأسطوانة من الغاز ما نفعها
إن لم تكن لإشعال الحرائق الصغيرة في هذا العالم.

غيث

وضعت يدي في جيب بنطالي الخالي من الهمومْ
كانت السحب الطليقة في السماء
تلعب الثلاث ورقات على أرض الطبيعة العتيقة
وهي تغني جادك الغيث.

أمنية

أهو كثير عليّ أن أرى الشمس تنام إلى جواري
والقمر يسبح على طرف سريري
بينما النملة التي تقطع الجدران طولاً وعرضـًا
تبحث عن حبة قمحٍ معلقةٍ تحت سقف الظهيرةٍ.

تناقض

بيدكَ يا موسى ينشق البحر ويغرق جنود فرعون
وبيدي ينشق الماء في الزجاجةِ
ولا أمسك سوى بالقواقع الفارغةِ وحصى الليل البردانِ
هلموا هلموا يا حرّاس الأساطير.

تخطيط

بخاري يصعد إلى السماء
وأنا جالس إلى طاولتي أطارد الغيوم
ثمة طيورٌ ترفرف بأجنحةٍ من خشبْ
وأنا العق بقية الطبق ، طبق السمك الذي خططوا له.

تزوُّد

سهر الرماد في المدفأه
وأخذت قافلةٌ من الحجيج تتزود للرحلةِ
ولم ينته الخزاف بعد من عمل يده
ولم يعد في الإبريق سوى ماءٍ جاف!!

سنابل

شجرة صحراوية وأغنية بردانة
يتعانقانِ – معـًا – في الهواء الطلق
ربما جمعتهما الضرورة العمياء أو الصدفة المدوَّخة
وينتظرانِ بلهفةٍ أن تتفتح أزهارهما على سنابل الرغبة.

عزاء

أصابع صغيرة وتطلب العزاءْ
على أرضية الغرفةِ ذات الملاءاتِ الرثةِ
فيما كان يقف الغبار فارداً جناحيهِ الثعلبيتين
في محاولةٍ أخيرة لإصلاح الأسلاك الكهربائيةَ حتى تتسلل العتمة.

استلهام

نفس البيانو في الغرفةِ المجاورة
نفس الأصابع التي تركتها السيدة ذاتُ الإيشاربْ على النغمةِ
نفس المعزوفةِ التي ما زالت تحلق في سماءِ الغرفةِ
مثل طير يتيم ويُسْتَلْهَمْ!!

ثرثرة

في البار القديمْ جلس أصدقائي القدامى يفكرون في الكأس الفارغةِ
فيما أخذ كل منهم يبحث لنفسهِ عن سماءٍ أخرى

غير أن أحذية المارةِ في الشوارع المجاورةْ
أخذت تتسع لأرواحهم التي كانت تضيق.

خزف

يا له من منظرٍ عتيقْ
السماء تندلق في كوبِ ماء
وساعة الحائط التي تتكتك منذ سنواتْ
لا تزال تمارس نفس المهنةِ.

غثيان

انتظروني قليلاً أيها الرفاق!!
ريثما أجفف الزمن وأمسح له يديه المتسختين بالشهوةِ
وبعدها سوف نخرج معًا إلى المقابر التي تقوم هناك على أطراف الصحراوات
حتى لا يفكر هؤلاء الموتى أبداً في الشيخوخةِ أو يشعروا بالنسيان.

حوارات

عند الظهيرة تجلس قبرةٌ على صاج مدخنه
وتفلي ريشها المنتفش واحدة فواحده
وفيما تنظر إليّ
يقف هواء الشجر عاريـًا.

تغيرّ

أمس زارتني المرأة التي كنت أحبها في المنام
والتي لم أرها منذ ما يقرب من عشرين سنةً على الأقل
كانت تقف ملفوفة بالضمادات وأنا أخوُّض في الوحل حتى الركبتينِ
لم يكن البيت بيتنا ولا السرير الذي مارسنا عليه الحب له نفس النكهةِ.

ذكرى

لماذا أتذكر أمي الآن وبعد كل هذه السنوات
لماذا أقول لها الآن: صباح الخير يا أمي أيتها السنونوة الطيبة
وأنا أعرف أنها ترقد هناك في مقبرةِ القريةِ
بلا عظامٍ أو حتى فساتين جديدة.

بكاء

في موانئ عدة اشتغلت حمالاً بقرشين في اليوم
كنت أرفع الطوب من الصبح حتى آذان العِشاء
وأصعد سقالة لا يغني عليها سواي
في الميناء استثمرت رغبتي في البكاء حقـًا.

عطالة

عيني معطلتانِ
ساعة اليد معطلة كذلك ، وكذلك أجراس الكنيسة المجاورة
والراديو معطل
واليوم أحد.

حَجْلة

لم يكن هناك أحد في الشوارع المجاورة
سحبت ظلي الذي كان يتبعني مثل كلبٍ
وجلست على صخرةٍ صغيرةٍ أمام بوابة النهار المخلعة
ورحت ألعب أنا والظل لعبة الحجلةِ.

سلاسة

أريد أن أكتب الشعر مثلما أتكلم
ومثلما أصب الشاي في البرّاد الأحمر أو مثلما أتنفس الهواء وأمارس الجنس

ولم يكن ينقصني أي شيءٍ في هذا الصباح الرائق
سوى بيت واحدٍ من الشعر.

دون كيشوت

إنها ساعة الرمل
تلك التي يدون عليها الزمن أخطاءه
وندون عليها – نحن – كذلك لحظات السأم واليأس
ألم يكن دون كيشوت على صوابٍ دائمـًا ؟!

اعتكاف

في لحظات الطفولةِ البعيدةِ كنت أقف أمام الجامع الكبير عصر كل يوم
لأتلقى حسنةً من يد الله التي تعمل في الخفاء دائمـًا
ورحت أمسح دورات المياه والميضاوات وأحرس أحذية المصلين وعكاكيزهم
ولم يكن ينقصني إلا أن أصعد إلى السماواتِ بسلمٍ.

اعتراف

تُرى
لماذا قال السيد وهو على الجلجثةِ إيلي إيلي لم شبقتني
ألم يكن يعرف أن السماء مائدة من ورق
والأرض كرة من المسامير؟!

غيظ

على رأسي وضعت قبعتيْ
ولبست معِطفي الواقي من المطر ورحت أتوكأ على عصاي
فجأة لم تمطر السماء
وطلعت الشمس.

واقعية

رأيت صورتي في إحدى الجرائد اليومية مرميةً على الأرض
والمارة يدوسون عليها بالأقدام
فقلت أي جدوى من قراءة ماركس وهيجل والقديس أوغسطين
وماذا يفعل نيتشه في غيبوبة كهذه؟!

بلاده

في كل يوم أذهب لأفتش عنك في السكك
نفس السكك التي تعرف خطواتنا جيداً
والحانات التي سكرنا فيها حتى الصباح
حتى السرير الذي نمنا فيه لم يعد يتذكر أي شيء.

ثامار

ثامار
هذه المرأة اللعوب
التي أشعلت النار في جسد يهوذا ووقفت على الطرقات تنتظر
ماذا يفعل الخاتم في إصبعين من الحليب لا يجيدان سوى حرق اللذة.

رعشات

على الطرق الجبلية الصعبة وقفت تنتظر عاصفةً
هبت الريح وكنست ثيابها بأسنان قويةٍ
جسدها بمفردهِ
وقف يرتعش مثل صنارةٍ.

عطش

تعالَ !! انظر إليّ يا حبيبي
أنا في الصيف

أنا واقفة على الطرقات كنحلةٍ غريبةٍ
دخلت بستانـًا من الزهور دون أن تبل ريقها.

خزّاف

يداكَ صنعتاني وكورت جسميْ وكورتا روحي
أنت صببتني على قالبك
يداكَ كورتاني بالليل والنهارْ مثل حبة حنطةٍ
متى تفرغ أيها الخزّاف من عمل يدك.

صلصال

يدكِ مبلولة بعجين الأمس
وأنتِ في ثيابك الزرقاءْ
تنشفين اللذةَ بلسانك الأرجواني
ساعداكِ يرفعانِ عبء النهار.

مماحكة

أتجادل مع الهواء في المبردةِ
أتجادل مع الشمس في الظهيرةِ وأقول
هذا الصانع أبداً لا يتعبْ
ولا تتعطل ساعته الميكانيكية!!

حليب

حين وقفتْ ثامار على الطرق أخذت تعجن الهواء في ضفائر
وتجلس على الأرصفةِ مثل نعجةٍ تثغو
في انتظار أن ينتفخ الهواء بالرغبةِ
وتضجّ الأرض بالحليب واللذةِ.

سالومي

سالومي التي تخلع ثوبها الأزرق وتدخل إلى عرشها في الليل
لتتعرى بحريةٍ كاملةٍ أمام رأس يوحنا المعمدانْ
كانت تعرف أن تاريخ العالم يصنعه الجسد الإنساني
على طبقٍ من اللذة العتيقةِ.

المجدلية

ماذا قالت المجدلية بعد ما غسَّلَتْ قدميْ المسيح الداميتين بدموعها الخضراء
وبعد أن شبعت تمامًا من اللذةِ واندلقت الخمرة على الأرضِ
هل كانت تفكر في الثالوث المقدس
أم في جدل التاريخ حول الآب والابن.

مصاهرة

دينه تسهر طوال الليل
ويعقوب في القفص
وسوائل اللذةِ آنية من زجاجْ
شكيم وحمور يرغبان في مصاهرة العدم.

مراودة

خاتمك قالتْ
وعصابة رأسك
عصاك التي في يدك وخبزك الذي في مخلتك
حتى أخرج من ترملي وأصير معزتك!!

زهر

لمَ تجز غنمي ، لمَ تقطع عني مياه أنهارك
أنا ضريرة على السككْ

وأنت كأسي الفارغة التي لا يلعب فيها سوى الذباب الأحمرْ
سرتي ملآنة زهرا.

صوى

لمْ نخرج من هذا الطريق ولا من سواه
لا توجد علامةٌ واحدة أو صوى
صحراء واسعة وبلا نهايةٍ
أهذا هو كل ما نملك في هذه الرحلةِ.

وصف

حرة أنتِ كنجمةٍ على المحيط
صلبة كلؤلؤةٍ تخرج من الأعماق
لينة كطينةٍ من صلصالٍ
هكذا رأيت صورتك التي على السحبْ.

امرأتان

دينه، ثامار
شجرتانِ ضاربتانِ في اللذة
عصواهما اللتان تستخرجان الماء من الينابيع
تُسقيانِ من عين الرغبةِ.

بقع

أشعلتُ شمعةً وحيدةً وجلست في الظلامِ كي أراكِ
لم تكوني هنالك أبداً ، كانت ضحكتك التي ترنّ في الوحدةِ
وصدرك الذي يلعبُ النرد فوق طاولةِ جسدي العطشان
فيما يداكِ تتركانِ على قلبي بقع حبك الناشفة.

أخبار

في البناية المقابلة
تقف امرأة وطفل
الطفل يلعب بالفراشاتِ
والمرأة نفسها فراشهْ.

العذراء

أيتها العذراء المقدسة
ألا تتوقفين قليلاً عند ناصية الشارع
لأسألك فعلاً هل حدث ما حدث
ولماذا ابنك بالذات وماذا كان يفعل يوسف النجار أنئذ؟!

عوالم

تراكتورات، كولوخزات، رأسمالية، إمبريالية
فاشية ، اشتراكية ، حربان عالميتان
– 70 مليون من القتلى ، 100 مليون من الجرحى –
فلماذا كل هذه الأساطير حول رجل واحد مات منذ ألفي عام؟!

أسطورة

سبع بقراتٍ سمانٍ
وسبع بقرات عجاف، زليخة، المرأة المصرية اللبؤة
تلك هي الحكاية العبرانية القديمة ليوسف مع فوطيفار
ليت أن الإسماعيليين لم يبيعوه في برّ مصر.

نحّات

يستطيع أن يعمل نحاتـًا
ولكن لا خشب لديه أو ملاطْ

فلماذا يحاول أن يصنع منحوتةً من الهواءِ المحضِ
لامرأة تتجول عاريةً في الحديقةِ ليلاً.

لهاث

على الرصيف المقابل جلست امرأة
وتعرت بكامل ثيابها
الفخذان ، والردفان ، والسرة
في المقهى كان ثمة كلب يلهث.

حساسية

تحسستْ راحة اليد
مررّت يدي على السرة والردفين والقمر المنشق
تفتحت عناقيد الشهوة على الجدران
حتى أورقت كافة النوافذ.

أناي

أناي التي تنام إلى جواري
تستيقظ في الصبح مغتسلةً من الهموم
وتجلس قبالتي على المائدة لتقاسمني الخبز والملح
صانعةً على الدوام حواراً غير متكافئ.

نيتشه

لماذا أحب نيتشه سالومي ، ولماذا هذا الاسم بالذات
هل كان نيتشه يكره يوحنا المعمدان إلى هذا الحد
أم أن سالومي التي تعرّت أمامه ليلةً بكاملها
لم تكن تجيد سوى العزف على آلة الكمان والجسد.

شراع

في الحياة التي نحياها يوجد الكثير من الحب
والكثير من الجنون كذلك
أنا وحدي أقف في العاصفةِ
مثل شراعٍ مثقوبْ.

تحديق

حدقت في اتجاه الريح
وفي اتجاه البحر
كانت الكلمات تخرج من الفم مثل الطيورِ الهاربة
والفراشات تأتي ميتة إلى الشوارع.

خبز

لمَ لا يكون هذا النهار كسابقيه
الشروق ، الضحى والغروب
وأنتِ لا تأتين أبداً
في الطريق خبز يحترق.

وقوف

لمْ تأت هذه الفراشة أبداً لتحطّ على بابي
غير ذلك اليوم
أعرف أنك التي أشارت إليها
أن تقف أمام منزلي.

تململ

على قبرٍ بلا مشاهدةٍ
يحطّ غراب أسود

صبار على صبار
وفي الداخل عظام تتململ.

إغواء

أركلي الباب بقدميكِ العاجيتينْ
خبئي في جيب بنطالك الرمادي قمرنا الأخير
اتركي ثدييك ينتفضانِ كرمانتين بريتينِ
بين راحتي يدي المعلقتين على عناقيدك المتشابكةْ.

وداع

في النهار الأخير لعملية الصلبْ
لم يطلب المسيح أي شيءٍ سوى كأس صغيرةٍ من الماء
وطبطب على كفل المجدليةِ بيديه الحنونتين ولمس شعرها الأسود
ولم يلق نظرة واحدةً إلى أمه التي تحترق.

أفلاطون

في كهفه كان أفلاطون يرى العالم مقلوبـًا
الأرض في السماء ، والسماء في الأرض
وعلى طاولته المستديرةِ وأمام رقائقهِ كان يعلم تلاميذه
أن نظرية المثل أسطورة مستعارة من فن النحت.

شمعة

شمعتانِ ، ثلاث شمعاتْ
طاولة من خشبٍ وإردواز
والمغني الضرير يقف غريقـًا في غرفةٍ من غبارْ.

فجر

ذات فجر
أخذت أتجول في شوارع القريةِ بمفرديْ
كانت البيوت مقابر
ولا ضحكة واحدة ترن على الطرق.

تجوال

صفصافة ماثلة على البحرْ
وبئر ماء يجف
وحدها الشمس تغسل ثدييها بيدين عارفتين
وتتجول عاريةً كسمكة على السكك.

إستراتيجيات

من يقول إننا لم نلتق عصر ذلك اليوم
ألم أصنع من جسدك قارات وموانئ
ومن شفتيك العنابيتين غرفة لممارسة الحب
ومن صدرك الرحيم ملجأً للإستراتيجيات.

ري

قبل أن تغسل المجدلية قدميْ المسيح الداميتين
كانت تعرف أن جسدها غرفة مؤجرة لكل عابر سبيل
وأن حقلها الواسع شسوع الصحراوات
غرفة صالحة للزهور واستنبات كافة الحكايا.

78 / 10 / 18

في 78 / 10 / 18 ماتت أمي بسرطان الرئة
ورحت أمشي في السكك مثل كلبٍ أعمى

ومن يومها وأنا أصرخ إلى الربَّ بملء فمي
لماذا أعطيتنا جرة معطوبة.

فلاسفة

نيتشه، أفلاطون، شوبنهاور
سقراط، هيدجر، كيركجارد، كانط
غزاة الشمال أولئك الذين حاولوا اكتشاف قارة السماء
أو إشعال النار فيها، الم تكن هناك مكنسة في يد الله؟!

الماوراء

منذ أن تم صلب المسيح قبل ألفي عام والعالم هو العالم
والبشرية في كل يوم تفتش عن مسيح جديد
لكي تعلق عليه شماعة أخطائها
وكأن الزمن يمشي إلى الوراء دائمـًا أو ينام خارج المقهى فارداً ذراعيه.

جيرة

أمام الفرن في الدار الكبيرة
كانت أمي تشعل الحطب وتعدّ لنا الخبيز
ولم تكن تكلم أحداً
سوى جيرانها من عرائس النار واللهب.

دأب

ذات يوم صنعت لي أمي دميةً من الخشبْ
ومن يومها وأنا أعمل نحاتـًا للفراغ
وفي لحظات الألم والضوء
أبحث عن آلهةٍ مكسورة.

دراجة

ركنت دراجة الهواءْ
ورحت أصعد سلالم البيت درجةً درجة
لم يكن هناك غير جدّي الذي يجلس أمام الدار مثل جذع نخلةٍ قديم
وفي يده مسبحته التي يحصي عليها سنوات عمره التي تساقطت كالأسنان.

نشاره

تُرى أين أنتِ يا حبيبتي
وفي أي فراشٍ تنامين حاضنة طيورك الزرقاءْ
أنا أعرف أنك تقدَّمين جسدك ذبيحةً لكل عاشق
ألم تكوني في يومٍ مجدليتي.

حداثة

لعبة التواطؤات الدولية، صابون الغسيل المبرمج، تزييف العملات الورقية
ملايين الجوعى والمشردين، الأصولية الجديدة، والمحافظون الجدد
عمليات الإبادةِ الجماعية، والانتقام الرجعي للرأسمالية المتوحشة واقتصاد السوق
ألا يكفي أن نحمل عبء الجسد كله.

إصرار

على الفخذ البرونزي المسبوك كشجرة اللوز
أخذت المرأة تدق الوشم للرجل الذي تحبه ولم تشأ أن تقول له الوداع
أو أن تمارس الجنس في صالة الجيمانيزم
فقط لكي يظل الجسد على حالةٍ من الوعي.

صباحات

في صباح جميل كهذا لا أجد ما أفعله
سوى أن أجلس على الرصيف المقابل

وأمدّد رجلي في الفراغ الغويط وأتودَّد إلى الهواء المناوش
وأقول لنفسي :
ها، ها، ها لا جديد تحت الشمس.

قأقأة

في الشوارع المقفرة
تكنس المصابيح العتمة من على جلابيب الليلْ
ولا يتبقى على الأرصفةِ سوى غربانٍ سود
تقأقئ على كل نأمةٍ.

النوافذ

في إحدى كتبه قال العلاّمة محيي الدين بن عربي العالم خيال
أدركت هذه الحقيقة وأنا أفتش في صندوق أمي القديم ، كان ثمة خلخال
وعقد من الكهرمان الحجازي ، وطرحة زفافها التي أكلتها العثة وبضعة أدعية
وخاتم الزواج وضحكتها التي تركتها على النوافذ وشالها الأخضر.

مستوطنة

يا سيد كافكا ألا تجلس قليلاً معي
لنشرب الشاي في إحدى هذه المقاهي، أو ندخن الشيشة حيثما اتفق
ولا تقلق بشأن العالم أو وحدة الوجود
ولنضحك قليلاً على الدودة الهائلة ومستوطنة العقاب هذه.

لعب

قطط الفراغ التي تلعب معي الدومينو على نفس الطاولةِ
وتشاركني الوحدة والأطباق والملاعق
الشَّوك والسكاكين، الأغطية، الشراشف
وفي آخر الليل تغلق كافة النوافذ وتبدأ في الغناء فجأة وهي تلعق أصابعي.

جميزة

هناك، عند الساقية المهجورة كانت تقف شجرة جميز راسخة
لطالما صعدنا فوقها وغنينا، وأكلنا من ثمرها المعطوب وركعنا تحتها بامتنان
وكتبنا على جذعها الغليظ أجمل الأشعار لحبيباتنا الجميلات النائمات
الآن، تقف هذه الشجرة مثل حارس أعمى قبالة فنار معدوم.

حيوات

في سنواتنا الناشبة كنا نجمع الحطب والقمامة من على الجسورْ
ونجفف القواقع النيئة حتى نأكل عظامها، ونصطاد السمك بالشص من النهر
وننقّي اللطع من على أوراق القطن المصابة، وكنا نسخر من الموت المجاني
وهو يمشي في شوارع القرية كاللص ونحن نحتضن الحياة بمجرد النظر.

غناءات

كثيراً ما صنعنا من أعواد الحطب والبوص أغنياتنا البسيطة المجوفة
وصنعنا بأنفسنا هذه الموسيقا التي تتسق مع لون جلابيبنا
الموسيقا التي تخرج من الهواء لتصنع الهواء
وهي تخرج من أفواهنا كالذهب الحارَّ في حلقاتٍ ودوائر.

استحالات

كم أتمنى أن يعود بي الزمن إلى الوراءْ
لأجلس قليلاً على العشب مثل ذئب بري
وأتمرغ على الأرض العطشى، وأشم رائحة الطين في الفجرْ
وأشرب من يد الليل البردانة القليل من الندى حتى تنتصف الظهيرة.

أميرة

أميرة!! يا أميرة، كحل عينيكِ أغراني بالذهاب خلفكِ في السكك
صوتك ما زال يرنّ على شباكي في الليل

حتى تحولتِ إلى نجمةٍ لا تطلع إلا ليْ
حوِّلي عينيكِ عني فهما قد غلبتانيْ.

أنثى

بيدين صلبتين وجسدٍ منهمر تقبض أنثى العنكبوت
على فراشاتِ الجسد الجامحة
وفيما يتفحم الجسد في حفرة الجسد
ولا يتبقى من غثاء الروح سوى الهيكل تخرج الوردةُ منزلقةً.

قلوع

هللوا يا ، هللوا يا
سوف يبحر الجسد من مرافئه الصغيرةِ المجهولة
ولا يلقي بقلوعه العملاقة ومراكبهِ إلا على سواحل اللذة
وذلك بعد أن ينقِّي شجرته العالقة من الأساطير.

اندحار

صورتك نازلة على الدرج وفي يدكِ الكمان
يتعطل أمام عينيّ
إليكِ تتطلع نفسي باشتياق فيما هي تصغي إلى موسيقا جسمك ذات الجلبةِ
وأنا أتلصص على ردفيكِ الكوكبيتينِ
وألحس عرق إبطيكِ كالدرقة.

منازلة

أيها الموتُ الرنان فلتأتِ وقتما تشاء وعندما تريد
في شكل جعرانٍ أسود ، أو حتى سحليةٍ جبلية
فلقد تركت لك – على المائدة – بيضتين فاسدتين
وأقل من 70 كيلوجرامًا من اللحم المخلوط بالنفايات.

تعليمات

أحبب قريبك، لا تشتهِ امرأة جاركْ
أدر خدك الأيمن، لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق
اعطه الثوب كله، ملكوت السماء أضيق من ثقب الإبرة، طوبى للغرباء
هذه هي تعليمات المؤسسة، ومن يومها والعالم مملوء بالخراء.

اختراعات

أخترع وردةً ، وأخترع بيتـًا وأصير خزافـًا
أخترع نافورة حمراءْ
وأجلس إلى ظل الشمس
تنبهني إلى عمل الساعات.

شرخ

في الزمن
تأتي الأشباح متراكضةً فيما تمسك بين أصابعها بمزامير الوحدةِ
وعلى طاولات المجاز والفحمْ
يقف النهار مصلوبـًا.

أنا

أنا من يختلس النظر إلى الظهيرة
أنا من يحمل فوانيس العتمة ويمتلئ بالشك
أنا من يرقب ولوج الليل في النهار ، وولوج النهار في الليل ودون أن ينتبه
ومع ذلك أظل أصفق لطيور العدم الهرمة وهي تعبر الأنفاق السرية لليلْ.

ترنسندنتاليزم

ظهيرة الغد ، ظهيرة اليوم ، ظهيرة الأمس
كلها أوانٍ من النحاس المستطرق التي تعكس السماء بنافوراتها اللازورديةِ

فيما تكتب على حجر الصوان والملح ،
جبالك أعلى من الموج
موجك أعلى من السماء ،
سماؤك أعلى حتى من جبل الموسيقا.

خرزة

إذ يقف النهار غريقـًا على بابِ غرفتي أقول له:
أين هي امرأتي أيها المراوغ اللص؟
أين هي فراشاتي الليلية التي تقف مبلولةً على صخرةِ المدى؟
لا شك أنك تحمل في طيِّ جلابيبك خرزة الروح الهرمةِ
التي تفتح لطيور المحيط حدائق النسيانْ.

الظل

الظل يسمع
وينحتْ
أما الأشجار
فتنام عاريةً
في انتظار عمل المكانسْ.

نحر

كثيرة هي الوطاويط التي تنحر في مؤخرة الرأسْ
وتنام على المخداتِ مثل عمل الطحالب
كثيرة هي المصائر المجهولة
التي تمسك بالفراشاتِ والضوء.

خزفيات

بين الفخذين اللدنين يسكن قمر السماءْ

فيما تتناثر النجوم تحت نعليك أيها الطائر الخزفي
جسدك طاووس ويعشق العزلة
دعيني أتجول بمفردي بين حدائقك أيتها التفاحةُ.

تغلغل

صغيرة هي أحجارك التي ترصِّعين بها صدرك الجميل هذا
أريد أن أظل في إحدى هذه الغابات
وأتغلغل في داخل المسام
حتى أشرب من عبير كرَّاساتك.

أطياف

القواقع التي جمعتها هناك من أعلى الشاطئ ووضعتها على السلّمِ
كان هنالك الفراغ الذي ينصب شبكته الدمعية المجوفة
لاصطياد كل تلك الفراشات التي راحت تواصل الغناء بعينٍ منجرحة
بحثًا عن خيمةٍ هائلةٍ كانت تسكن هناك على شاطئ بحر.

عجائز

أدعية العجائز
وهن يتذكرنَ رائحة الموتى
– قبل أن يصيح الديك ثلاث مراتٍ –
كن يتأملن رائحة الزمن بيدهِ الخشنة.

أيتها النائمة

استيقظي أيتها النائمة تحت الفجر
فعلى فراشك الوثير جمعتنا الصدفة العمياء ذات ليلة
فاكتشفنا أن الجسد بحدّ ذاته بحر وما له من محيط
أوله كآخره وفيه كل السفن غرقى.

متاهة إبراهيم

ترى
لمَ كل هذا الليل
لمَ كل هذه الغيوم
أنا وحدي أسير في السكك التي تختلط بالرمل
أقطع الليل في النهار
وأقطع النهار في الليل
لا نجوم لي فتلمع في الأفق
أركض باتجاه البحر ولا أمسك بغيمة
أتوكأ على عصاي لأهش بها على خياناتي
أحيانـًا
يخيل إلي أن هذه العصا ثعبان
وأحيانـًا أهش بها على مخاوفي المتراصة مثل جبل
وتنمو على وجهي مثل فطر بثآليلْ
وجهي الذي خددته السنوات
وأهلكه الحر و القر
لمَ كتب عليّ – وحدي – أن أواصل السير
في السكك التي لا تنتهي
أما آن لهذا الحزن أن يتوقف
أما آن لكل تلك الغيوم أن تنقشع
أما آن لكل هذه الغربان التي تزعق في أرض روحي
أن تبتعد
ليعود لي هدوئي
وتلمع شفتي مثل قصبة
لماذا خرجت من أرض أور
بلا كسرة واحدةٍ من خبز
أو جرة صغيرة من ماء
أخرج إلى هنا

إلى بلوطة ممرا
ومن بلوطة ممرا إلى أرض جاسان بمصر
ما هذه الأحلام التي تعشش في الرأس كالوطاويط
والنمل
وتمشي على جدران خيمتي كالسحالي
ما الذي كان يتربص بي طيلة كل هذه السنوات
كان أبي آزر يحرث الأرض
ويزرع الشعير
والقمح
وفي الليل كان يضمنا إلى فِراشه
مثل دائرة من الحَب والنوى
وعندما يفرغ من عشائه
كان يحكي عن الزمن
وآلهته الرائجة
كان يضحك بملء فمه ويقول:
أنا صانع الآلهة الوحيد
في أرض نينوى
وأور !!
أمي كانت تحلب الأغنام والنوق
ولا شيء – يجمعنا في آخر الليل – سوى الحكايات
والنبيذ
كانت أرض أور
تفيض باللبن والعسل
لم يكن ينقصنا أي شيء
وكانت الحياة تسير مثل عجلة إغريقيةٍ
ببطءٍ
ولكنها تسير
ولم نكن نخشى من الآلهة أي شر
كانت الآلهة قريبة منا

تنام تحت أسقف بيوتنا الواطئة
وترقد في حظائرنا مع الماشية
وفوق أسرتنا المصنوعة من الطين والقش
لم تكن تكلفنا أي شيء
سوى قطع الأحجار
ومجموعة من المسنات
والمناشير
وفي ضوء النهار الجاف
كان يجلس آزر أبي لينحتها بعناية وحذق
في فمه أراغيله
وبين شفتيه بضع أغنياته التي يطيرها
كاليماماتِ
والظل
ما الذي حدث يا إسحق
ما الذي حدث يا ساراي
أيتها الزهرة البرية الجميلة
وأين أنت يا هاجر
أما كنتِ تسكنين هناك في وديان مصر
بلا هم واحدٍ
أو حتى منغصات
ما الذي جعلني أتركك هناك
في كل هذه الصحراوات عارية هكذا
بين الوحوش الضارية
والظمأ القاتل
عن أي شيء أبحث أنا الغائص في المتاهة حتى النخاع
لم أعد أنام بالليل
وبالنهار أتصلب مثل قشةٍ
كم عانيت وأنا أقطع هذه البرية القاحلة
التي يضل فيها النجمْ

وتغرق فيها الشمس في المجرة
هل يكون ما أراه وهمـًا
هل يكون ما أسمعه تهجيس شيطان
ما الذي حدث يا ساراي
ليس في جعبتي سوى الصخر
والحصى
في فمي تسكن الوطاويط
وتحت رأسي تنام الكوابيس
كالقطط والسحالي
أحيانـًا
وأنا أجتاز الصحراوات
أضيق من روحي في الواقع
كانت صرخاتي تتصاعد إلى سقف السماوات
فلا تصل إلى شيء
أريد أن أثقب جلد الأرض
أريد أن أمسك بكل هذه المتاهة من الرمل بين أسناني
وأطوح بها إلى العدم
أن تكون لي القدرة اللازمة
لأكسر حجر السماوات كالرحى
أريد أن أفرك النجوم بين أصابعي
لأذريها على المنحدرات
والأودية
أن أدشدش الجبال السامقة
في بوتقةٍ
بقبضة من حجر
أن أطحنها تحت قدمي
مثل حبة من خردلٍ
وأتركها هناك في المستنقعات
لتجف

لمَ هذا الهلاك
أريد أن أوقف حركة الأفلاك هذه
فلا تسمع أو ترى
لا تدور أو تهتز
أن أطفئ الشمس بيميني وبنفخة من شفتي كالسراج
أدفن القمر
في غيابةٍ
كثيراً ما راودتني هذه الأفكار
أن أدفنكم في قلب هذه الصحراوات
أنت يا إسحق
وساراي أمك
العاقر
العقيم
أتخلص من كل هذا الذي يشوش عليّ أيام حياتي
ويجعلها كالبصل
واللفتِ
ويعوق مسيرتي نحو التحرر الكامل
والخلاص
خلاص روحي
وخلاص نفسي التي تتآكل بلا يقين واحد
أتقدم لكن إلى أين
فكرت أن أتخلص من كل ما أملك
لأعود إلى العدم مثلما جئت
أتخلص من أغنامي وإبلي
وأجلس على صخرة اليأس الرّنان هذه
لأنتظر قدري
ومصيري
قدري الذي يتربص بي مثل شص
وينتظرني هناك على أعلى المنحدر مثل هاويةٍ

وذلك
بدلاً من أن أقودكم هكذا
وعبر برية الهلاك والمر هذه
وفي كل مرة
كنت أصاب بالجزع والنسيان
مثل أعواد الخروع الناشفةِ
وأكياس الملح والندم
كيف يمكنني يا إسحق
وبعد كل هذه السنوات
أن أقطع شعرة واحدة من رأسك أنت
أنت الذي انتظرتك لسنوات
وسنوات
مثل كبش أطلس
أو غيمة تمطر
كلّت عيني من النظر
وأذني من السمعْ
وتقلقلت صخرة روحي
نحو المنحدر
وهأنذا أقبض على اللاشيء
لا أسمع سوى وسوسة العدم تملأ روحيْ
قلبي مثل حجرْ
وروحي حقل أشواك
وغيوم
لمَ كل هذا يا إسحق
وماذا أمثل أنا في هذا العالم يا بني
لم يكن يشغلني أي شيء
سوى أن أنتظرك أنت
مثل فراشة بريةٍ
أنت يا إسحق

كنت أتشقق مثل رملةٍ بائسةٍ
وأطارد كوابيسي الليلية بأسىً بالغ
وصُراخات
وكانت أمك مثل هذه الفجاج
عذبة
وحارقة
هل يطرح الحسك عنبـًا
هل تتفجر الأنهار من الصخر
هل تخرج فراشات الضحى من العدم
رحماك أيتها الآلهة الكسلى
أين غلبتك يا موت
أين شوكتك يا جحيمْ
أحيانـًا
كنت أضحك وأقول:
أنتِ يا ساراي أرض ممحلة
وبلا شجرة خضراء
أو حتى خبيزة
ناشفة!!
لم أكن أبصر في كل هذه الصحراوات الكليلة غير الظمأ
والموت الذي يطاردني كالخفافيش
أرض حيات
وسحالي
وحين يَجِنّ الليل كنت أقارن بين أمك
وهذه الصحراوات يا إسحق
ثم أجلس أمام باب خيمتي مثل عاطل عن العمل
أنظر إلى تماثيل آزر أبي
بأيديها الضارعة
وشفاهها اليابسة
أقدم لها الخبز فلا تأكل

أقرب منها الماء فلا تشربْ
وباحترافاتٍ
وتعزيةٍ
كنت أصلي لها صلواتي التامة
فلا يستجاب لي
ما هذه التماثيل يا أبي؟؟
لم تكن تبصر أي شيء
ولم تكن تسمع أي نداء لي
هل أنا ذرة من الغبار يا إسحق
هل أنا ورقة ناشفة
وعُصافة
تحملها الريح حيث تشاء!!
كنت أبكي
وأبكي
إلى أن تخضر لحيتي مثل قرد
وأشعر أنني مثل نافورة تغلي
فلا يغمض لي جفن
وفيما ساراي أمك تغطّ في النوم
مثل عظاءة موحلة
كانت تستجمع الأحلام بين فخديها
كالياقوتةِ
إلى أن يطلع الليل من الليل
والنهار الأبيض من الفجرِ
وكنت أنكش الرمل بأصابعي
إلى أن يجف حلقي
ومن فرط اليأس يا إسحق
كنت آكل الرمل كالنقانق
وأمضغ الحصى تحت لساني
كأجنحة الجرادِ

والقش
إلى أن تنطبخ غابات من الفطر
والطحالب الوارفة
فوق شفتي
أحييك أيتها الصحراوات المتقشعة
أيتها الأيدي العبثية للفراغ اللانهائي
أيتها الصلوات المقدمة إلى العدم
واللاشيء
أنتِ
أيتها الطرق الملتوية
والمتاهة الضارية
لمدخل الجحيم حقـًا
أرفع يدي لأحييك بقسوةٍ
في الوحدةِ
ومنذ سنوات
وأنا لا أبصر سوى طائر العدم الرجيم هذا
وهو يخيم عليّ بأجنحته الهائلة
ومناقيره اللاتعدّ
وهو ينقر أرواح آبائي
وأجدادي
تلك التي تظهر وتختفي مثل قططٍ مقوسةٍ
في الفراغ اللانهائي
لم أسمع سوى أغنية واحدةٍ
ومن فم امرأةٍ بشهواتٍ تتردد
عبر الأودية
والمنافي
وعلى مصبات الأنهار ومجاري المياه
كنت أرى الموت جاثمـًا
وهو يرقص بخفة

طائرٍ
أعمى
كنت أبصر الضوء وهو يطير في السماء كالمنافير
القمر في انبزاغه
وهو يتلصص على الأرض
بخياناتٍ
وحصى
النهار وهو يتلكأ على قفا الليلْ
بشموعه التي لا تنطفئ إلا تحت قدميّ
مثل نمل باردٍ
ماذا أفعل في رحلة الجوع والنسيان هذه
تلك الليالي الطويلات التي أكلتني فيها الحمى
بفمها العنكبوتيْ
وأرجلها المخاطية السيالة
ماذا أفعل في دوامة البحث المتواصل عن القوت
والجراد
تحت الأشجار الناشفةِ
والمستنقعات؟!
ما الذي أفعله هنا وفي أرض الكنعانيين القاحلة هذه
لقد تركت أور بأبنيتها الشامخة
ومجراتها
بآلهتها المنحوتة من الحجر والصخر
بنسائها الأسطوريات المغسولات باللبن والعطر
على أرضها الموشومة بحليب العصافير
والنواقيس
لقد تركت ذكريات طفولتي
وأحلام سنواتي الضالةِ
ماذا أفعل أنا
بأشجاري العالقة في الذاكرةِ كالشهيق والزفير

بأيامي التي أحملها فوق رأسي كالبقجةِ
أور الكلدانيين
بشوارعها المسقوفة باللذة
والتضرعات
ونسائها المتشحات بالشهوةِ
كالجنس
ويتلاعبن بالظل
والشمس
كإناث الخيل
والسمك
أين ذهبت كل هذه الصلوات التي كنت أمارسها
عبر الألم
واللذة
مربعات الكسلِ
والظل
ساعات الضحك
والنسيان
لم أفكر لمرةٍ واحدةٍ في كل هذا الهلاك الذي يحيط بيْ
كالثعابين
والغيّ
وأنا أعبر من مفازةٍ إلى مفازةٍ
ومن بئر ماءٍ
إلى بئر ماءْ
كنت أحمل جرتي كل صباح
وأنا أعمل في بيت أبي كالدواليب
إزميلي على كتفي
وطعم الملح البارد
فوق شفتي
كالنشارةِ

وعبر برية السماوة المهلكة بما يكفي
كنت أحمل حربتي
وقوسي
لقاء ما يجود به على الحظّ
فمرةً أصطادُ أرنبًا بريـًا
ومرةً
ألف شبكتي حول رقبة وعل
أو ظبي
لم أكن لأنكسر أبداً
في جعبتي
كانت ترقد الأحلام إلى ما لا نهايةٍ
لم يكن شغل رأسي أي شيءٍ
سواكِ أنتِ
أنت يا ساراي الجميلةِ
وكنتِ
مثل ثمرةٍ ناضجة
ومحرمةٍ في نفس الوقت
إلى أن يجمعنا سرير واحد في آخر الليل
لنجف
أو تهدأ عربات الرغبة التي لا تتوقف عن الدوران أبداً
كنت أرى أمك يا إسحق
وأتطلع إلى ساقيها الرائعتين مثل بحرٍ
ساقيها اللتين تشبهان حديقة الخمر
وذراعيها المنحوتتين
من الماسِ
أتطلع إلى فخذيها اللدنين اللذين يأخذان باللب
إلى صدرها المنحوت بعنايةِ صنّاعٍ ماهرٍ
من الرخام
فيتشتت العقل

ورغم كل ذلك كنت أسأل
ما هي الحكمة في كل هذا يا ساراي
ولماذا أنت عاقر وعقيم إلى هذا الحد
ولماذا تشبهين في نومك
كل تلك الصحراوات اللعينة
أيتها الإوزة الجميلة
هل هي لعنة آزر الذي تمردت عليه
وتركته هناك يعانى الشيخوخة
والعجز
تركتُ له آلهته المنحوتة من الحجر
والنحاس
وهربت إلى الصحراوات مثل جرذ
ساراي
لماذا تحولتِ إلى تمثالٍ من رخام وإردوازٍ
وبلا حس
لماذا أصبحت أرضك خربة وخاوية
حتى بلا شجرة لبخٍ
ما هذه اللعنة التي أصابتنيً هنا
وفوق هذه الصحراوات الناشفة إلى أن تشققت
فلتذهب إلى الجحيم كل هذه الأحلام
والرؤى
إسحق
ساعدني على النسيانْ
ساعدني على أن أقف على قدمي مثل حصوة
متآكلةٍ
بين أطلال نينوى
وزقّورات بابلْ
ساعدني على أن أكون نغمة أخيرة
فوق قيثارات أور

وعلى بوابات بعل
ما الذي حدث
ولماذا تركت هاجر في الصحراء مثل بطةٍ بريةٍ
بين غابة الوحوش
والضواري
أأنا صنعت هذا بيدي يا إسحق
كيف استطعت أن أفعل كل هذا الخراب
الذي يزلزل جدران نفسي
ويهد بنيان روحيْ
أية خيانة لامرأة تعلقت بيْ
لأتركها هناك في الفضاء الطلق بلا شفقةٍ واحدةٍ
أو حتى رحمة بولدها الرضيع
إسماعيل
أين إسماعيل الآن يا إسحق
روحي تحجرتْ
ونفسي ملآنة مُراً
كيف استسلمت وطاوعت أمك يا بني
وتركت ولدي البكرْ
ليحبوَ هناك على الرمل
مثل صبارةٍ
بلا حبة واحدة من قمح
أو قربة من ماء
أنا
ما تركت لهم سوى جزازات من ردّةٍ
وبقايا ما في جعبتي من آلهةٍ
لا تغني ولا تسمن من جوع
أي كائن أنا
إسماعيل ولدي وقرة عيني
ياقوتة القلب

وماء النظر
هل هي الغيرة القاتلة يا بني بين ساراي العبرانية الشرسة
وهاجر المصرية المطيعةِ
أهو عمى البصر
أم تلك خيانة البصيرة
إسماعيل ولدي الذي تبللت به شفتي للمرة الأولى
لحظة أن أحسست أن العالم حي
مثل شجرة توت
وأرجوانةٍ
للمرة الأولى يا إسحق
كنت أحس معنى الأرض
والشجرْ
والنبات
معنى النهر والقمرْ
معنى الماء
والظلّ معنى الليل والنهارْ
كيف يمكن لهذه الطبيعة الصامتة أن تنطق
وأن تتكلم
كيف يولد الشيء من اللاشيء
للمرة الأولى أحسست أن أرضي تنتفخ بالماء
أن جراب أيامى لم يعد خاويـًا أو خربـًا
غنيت ورقصت وطربتْ
أمسكت بقصبة غنائي وغنيت
كان يمكن لي من أجل إسماعيل أن أواصل التعب
والكدح المرّ إلى أن أجعل الصخر يخضرّ
أن أحمل الفأس فوق كتفي
لأشق زند الأرض
بحثـًا عن الخبز
والملح

وها هي هاجر!!
هاجر التي تركت كل شيء من أجلي يا إسحق
أرضها وأهلها
ناسها ولغتها
حكاياتها وشوارعها
ذكرياتها التي داست عليها
وجاءت معي هنا
لتجف على الرمل
لتواجه الصمت
وقسوة الواقعِ
لا
لم أكن أحمل في جعبتي أي شيء
رأسي كانت معبأة بالأساطير
والخيالات
قلبي كان مليئًا بالأفكار والخرافاتِ
التي تبيض وتفقس في الأرحام
كالفراشات
والبراغل
كانت كل هذه الأفكار تعمل في رأسي كالمسامير والشوك
وكنت أسأل نفسي يا إسحق
من أين أتينا
وإلى أين نذهب في نهاية الرحلة؟
الرحلة التي تبدأ من الميلاد وتنتهي بالموت
وما هو النهر الكبير الذي يضمنا في النهاية
أهو العماء الذي يبلع في جوفه كل شيء
وما هو المصير المشترك لكل هذه الكائنات؟
وأين تختفي العوالم
التي تظهر لتختفي وتختفي لتظهر؟
استنجدت بكل شيء

استنجدت بالسراب والأحلام
كلمت الحصى
وناديت الترابْ
توسلت إلى كل الآلهة المقدسة
من عشتار إلى بعل
آلهة نينوى
وكهان بابل العظام
ولم يحدث أي شيء
ما هي نهاية الرحلة يا إسحق
أهو الموت يا بني
تلك الحشرة اللعينة التي تقف في الحلق كالشوكةِ
وتنام في المخيلةِ
وتطأطئ الرأس
وترقد تحت أرنبة أنفي كالبراغيث
والنمل !!
لمَ كل هذا القدر يا إسحق
هناك أرض تنبت العسل
والدهن
وهناك أرض تنبت الحسك
والشوك
أهو القدر بالضرورة يا إسحق
أم هي البصيرة العمياء
لكل هذا الكون
وأين تكمن المشيئة التي لا تفهم
ولا تبرر
أحيانـًا
كنت أتطلع إلى النجوم في الليل
وهناك أمام باب خيمتي
أرى القمر بازغـًا

والسماوات تتلألأ بالشهب والضوء
تأخذني الرعدة
وأتغشّى
أسهر إلى أن تطلع الشمس وتضئ الأفق
صدى كل هذه المجرات لم يكن ليصل إلى
إسحق
ماذا وراء كل هذه الأكمةِ
وماذا يحجب الأفق؟!
من بئر إلى بئر
كنت أقفز مثل طائر الحجل
ومن فلاةٍ إلى فلاةٍ
كنت أهرّ كعظاءةٍ
في يوم من الأيام نفد الماء منى يا إسحق
وتطلعت إلى السماء ذات الحجبْ
وتحت قدميّ
كانت الشمس حارقةً
وتلمعُ
والصحراوات تغلى تحت قدمي كالمهلّ
ولا من طريق آخر لأسلكه
لا أعرف أين يكمن الماء لأصل إليه
أيقنت أني هالك
لا محالة
اشتد الظمأ بأمك يا بني
توسلت إلى عشتار
وبعل
لم يحدث أي شيء
بكت هاجر طويلاً وتمرغت على الرمل
ولم تقل أي شيء
كان الموت يفتح أفواهه الألف

ولم نكن نملك أي شيء
سوى سفّ الرمل
والصمت
لماذا أقصيتنا يا إبراهيم من أرض أور
كنا نعمل كالمجاديف
ونأكل خبزنا
كفافنا
بلا خوف أو مجسات
لماذا أتيت بنا إلى هذه الصحراوات المخوفة يا إبراهيم
والفلوات التي لا تنتهي يا ابن آزر
هل أتيت بنا لتغرقنا في كل هذا السراب
الذي يبتلع كل هذه القفار
أم أتيت بنا لتقتلنا هنا وفي قلب هذه المتاهة
هل أتيت بنا لتجففنا كالبصل
والطماطم
وماذا يدور في رأسك أيها السيد الطفل
لقد كان هناك الفرات الذي يسيل بالسمك
والعسل
وكانت هناك كل تلك الأرض
التي تمتلئ بالشعير والحنطة
وكان هناك ذلك الضحك
الذي يكلل حياتنا بالنسيان
ألم تكن كل تلك الآلهة التي يصنعها آزر
أجدى ألف مرة من كل أفكارك المجدبة هذه
ورؤاك التي تشبه السراب
والعدم
ذلك السراب الذي يملأ الصحراوات كالرمل
وأحمله تحت إبطي
كالخرزة

عن أي عزاء أبحث لنفسي أنا إلى جوارك
أيها السيد القاحل
وعن أي شيء تفتش أنت أيها الفقمة
لقد تزوجتك لأنك أبن آرز صانع الآلهة
والتماثيل
قلت لي:
سوف تزهر حياتنا مثل أرض بسوسنات
ونخيل
وسوف تجدين في عيني نعمةً وبراً
والآن
هأنذا أموت كالفئران
والسحالي
وسط هذه الصحراوات الموحشة بلا أنيس
أو رفيق
بلا عزاء واحد
أو حتى أمل
أمشي وراء رجل آفل
ولا يعرف أين تقوده أقدامه
في كل يوم يحدثني عن أحلام كالمسامير
والقش
ماذا فعلت أنا
لكي أمشي وراءك في كل هذه السكك
وعلام تبحث أنت طيلة كل هذه السنوات
أنت جديب ومملح
يا إبراهيم
خذ من خشخاش الذاكرة ما تروي به ظمأ نفسك
آه
من روحك الغليظة كالصخر
والحنطية مثل حميض

وقروحات
اجعل كل هذه الصحراوات تنبت لك المن
والسلوى
امش فوق كل هذه الأرض
إلى أن تنبت لك السماء عنبـًا وزهراً
سوف يجف حلقك
وتتورم قدماك
ولن تصل إلى شيء
أيها الخالد في الوهم
هل تكون حياتنا يا إبراهيم بجحيم كل هذا السراب
الذي يتراءى من بعيد
اللعنة!!
لا
ليس هذا فحسب
لقد نسيتني من أجل هاجر
تلك المرآه الـ ...
هاجر
جاريتي التي زوجتها لك
ورحت تلتصق بجلدها مثل علقة
وتعمل على جسدها مثل طاحونة
مخددة
وبكلابات
لم ينفصل جسدك عن جسدها قط
كأنما كانت – هي – البئر لك
وأنت النبع دائمـًا لجسدها العطشان
وتركتني
نعم تركتني في قلب هذه الصحراوات إلى أن تعفنت
هاجر
أمتي المطيعة

وجاريتي الشفافة
لقد أعطاها لي الفرعون
ومنذ أن أعجب بسوسنات جسدي
ورأى أزهار بشرتي
وشعري
ولمس بيديه المبصرتين فستقات نهدي
وشرب من حليب أنهاري
وراح يعمل في مثل فرن
بآلته المجوفة
ووتره المشدود
كالصلب
ألم تقل له أنني أختك يا إبراهيم
وأنا فراشتك البرية
وناقتك الغراء
شمسك الخضراء أنا يا إبراهيم
وسقيفة نفسك
لماذا قبلت أن تقدمني إليه كالذبيحة
ليشرب من خمر شفتي
وليرتوي من ماء صدري
في كل ليلة كان يركبني مثل عربة مطهمة
وأنا أصهل تحت قدميه
مثل فراشة تجار
ألم تقل له أنني أختك يا إبراهيم
وأنا فرستك النبوية التي حملتها من هناك
من أرض أور
وعبر براري الكنعانيين تبعتك
وأعطيتك نفسي مثل أرض بمواثيق
كنت لك الظل
والندى

كيف طاوعك قلبك يا إبراهيم
وكيف جرؤت على استحلال جسدي هكذا
وتركت أرضك
وبئرك
لفرعون مصر
يشرب منها كيف يشاء
ويزرعها وقتما يريد
لم فعلت ما فعلت يا شقيق نفسي
آه
لقد كان لي ملك مصر
وهذه الأنهار تجري من تحتي
أكداس الذهب والفضة تتحرك بإشارة واحدة من يدي
ألف وصيفة ووصيفة تحت أمري
وطوع بناني
أصبحت عشيقة الفرعون
وأميرة نفسه المفضلة
صار الفرعون كالخاتم بين إصبعي
وأنت
لم تكن تعبأ أو تهتم
كل ما كان يشغلك إبلك وأغنامك
حنطتك
ومحصولك الوافي من الشعير والنخل
ذهب مصر الذي سرقته لك
لتكدسه في خزائنك
شاهدني الفرعون وأنا أسبح هناك في النهر
كنت مثل سمكة برية
وجسدي يلمع كالفضة
شفتي تستطلعان الشمس
وشعر رأسي يسبح على الماء

مثل زهرة اللوتس
ساراي
لو شئت لجعلتك ملكة وإلهة لكل هذا الشعب
هكذا قال الفرعون لي يا إبراهيم
لو أردت لأجلستك إلى جواري على العرش
وأطعمتك بيدي
من جرة مائي أسقيك
ومن خمرة أرضي أروى حدائقك باللبن والسكر
هذه الشمس التي تشرق
أنت
والنجوم التي تلتهب في الليل لي
يا فضتي وذهبي
يا فراشتي البحرية
أبداً
لا توجد امرأة في كل أرض مصر تضاهيك أنت
إيتها المعجونة بأصابع الآلهة السومرية
وصلوات بابل المقدسة
يا أجمل بنات أور
من خلال شفتيك تنبجس أنهار خمر وعسل
على شراشف جسدك الفذ تنطلق مزامير بشهوة
وكمانات
وفي الليل تهتف فراشات بأغنياتك
يا أرجوحة القمر والشمس
الاقتراب منك جنة بأنهار من عسل مصفى
والابتعاد عنك
جحيم بأفاع
وضواري
حين ألمسك بيدي هاتين
يقف شعر رأسي على كالمسامير

وينتفض جذعي
مثل غابة من ليف
يا لك من طاغية
إذا أراك أهتف
لا أقدر على السكون أيتها الموجة
وإذ تبتعدين عنى ترتبك مفاصلي
وتتخلع عظام نفسي
وأقع في الخلط
يا شفرة الجنون والنعمة
أنت أيتها الحورية
على عرش نفسي لم تجلس امرأة مثلك قط
لو شئت
لصنعت عرشك على الماء
وأجلستك على مراكب الشمس
بين مركبات فرعون
أيتها المزهرة أبداً بين النجوم
يا ابنه عشتار
و يا أخت جلجامش العظيم
لم يا رجلي الحبيب فعلت ما فعلت
كنت أحبك أنت
أيها الصحراوي المتلفح بالرمل
والعقبان
كنت أسرق من خزائن الفرعون وأعطيك أنت
من غلال مصر
كانت خزائنك دائمًا ملأى
ومن قطعان الماشية أعطيتك فوق ما تريد
يا شقيق نفسي
من غنم الفرعون كثرت لك قطعانك
وأعطيتك المزيد

والمزيد
من أرض جاسان أقطعتك أجود الأرض
إلى أن أصبحت السيد الأجل
والرجل المطاع
وبالليل
كنت آتيك حفية لأتلصص عليك
ولأجلس تحت قدميك
كالنبتة
كنت أشتاق إلى حليب جسدك المر
يا إبراهيم
كما تشتاق كل هذه الصحراوات
إلى الندى
كنت رجلي وسيدي
في رحلة السنوات الصعبة
والصحراوات المهلكة
كنت أدرك أن كل ذرة من جسدي
تنطبق على كل خلية من جسدك أنت
وفي الليل
كنت أناديك بأعلى صوتي
أيها الحبيب باللذات أين أنت
وما هو مكانك فنطلع إليك
أين هي شمسك لأشمر عن ساعدي
وأقطف خيوطها بيدي
ساعدني أيها الأمير الصحراوي أنا أسيرة وعبدة
على أي صخرة تجلس أيها السماوي
مثل حبق
وعلى أية مزامير تعزف أغنياتك
شجرك يظلل علي
يا غصن زيتوني الأخضر

ولا عزاء لي سوى الطلح
أين أنت
يا صانع الحب والنوى!!
حتى عندما كان الفرعون يقلبني بين يديه كالعجينة
ويطوي جسدي تحت فخذيه
كالإسفنجة، حتى
عندما كنت أتاوة من اللذة
وأصرخ بأعلى فمي
مثل فراشة ضالة
فوق أرض مراوغة
كانت روحي كل روحي ترفرف حولك أنت
أنت يا ثلتي ومجدي
كنت أنظر إليك في سقف الغرفة مثل فراشة تحترق
وأنت تحدق في بعينيك
العسليتين
الجهنميتين
وشفتيك المشقوقتين بالرماد
والرمل
كلما كان يدعك جسمي بأصابعه الخمس
وأتوجع من الرغبة
كنت أشعر بأصابعك تكلمني
شفتك تلتف حول سرتي وتهبط إلى قاع روحي
كانت بطني مثل لؤلؤة تلمع
وجسدي يتشمم رائحة جسدك كالصندل
وأنفاسك علامة على المداومة
ماذا فعلت بك يا رجلي الحبيب
لتفعل بي ما فعلت
قلت لي
إن الفرعون

سوف يمنحك أشجاراً
بدلاً من حدائقي الناشفة
سوف يزرع جسدك يا ساراي بالشعير
والحنطة بدلاً من الحسك
والشوك
أنا رجل بلا بذور
ولا فاكهة
أرض روحي خراب
ونفسي ملآنة تعبـًا
أعرف أنك سوف تثمرين كما تثمر الأرض الصالحة
أنا رجل معطوب
فقط تحتاجين أنت إلى الدفء
والكلأ
أرضك لينة وخصبة ولا تحتاج سوى بضع حنانات و قطرات
في جرابي لم يعد هناك أي شيء
ولا حتى عشبة ناشفة
أنا قارة غارقة و بلا سماوات أو حتى سحب
كافة قربي مثقوبة ومركونة على الطرق
ليس في مقدوري أن أمنح جسدي ما يريد يا ساراي
طوال ستين سنة
وأنا أكدح حول جسمك مثل فلاح بابلي
بلا محاريث أو حتى أدوات صيد وقنص
كنت أعمل على بئر خربة
وساقية معطلة!!
ولم تكن بطنك تريد أن تنتفخ أبداً يا ساراي
أنا بئر جافة
وأنت صحراوات قاتلة
وعطشى!!
مطري لم ينزل على صحراوتك قط

فلماذا لا يأخذك غيري
لم لا يزرع بساتينك سواي
أنت
أيتها الأجمة
والدغل
بفأسه
ومحراثه
بأدوات صيده
وقنصه
إن كان ذا يدين مدربتين
وعود صلب
يستطيع أن يشق تربتك الصخرية هذه
أن ينحت هذه القشرة الجافة التي تعلو وجه أرضك
وأنهارك
أن يغرس قمحه وكواكبه في نفس الوقت
فقط عليه
أن يفترعك بمحراثه القوي
ليحيي كل هذه الأرض
حتى تنتفخ التربة
ويخرج الحب والنوى
أرض جسمك التي تشققت
وكان أن فكرت في إله الآلهة
فرعون مصر
وهأنذا يا سارايتي الجميلة أعيش فوق هذه الأرض
كالملك
أخذت كفايتي وفوق ما أردت
وأنت
ترفلين في الحرير والقز
متوجة تجلسين على عرشك وجسمك

كأسطورة
وحورية
ببضاعة مزجاة
وثروة
تذكري يا ساراي أيام الجوع والموت
تذكري تلك الصحراوات الملتهبة التي أتينا منها
ضائعين
ضالين
كانت الأرض تغلي تحت أقدامنا كالمراجل والمهل
وتلتهم سنواتنا الرثة
كالحبق
الصحراوات
التي كانت تنخل عظامنا كالمناخل
تذكري
تذكري
أيامنا التي أطلقنا فيها العنان للشهوة والحب
كانت أرضنا مالحة
ومياه آبارنا
جافة
وقائظة
أنت أعطيت جسدك وأيامك للفرعون
وأنا أعطيتك عرش مصر
تخلصنا من قسوة الرمل
ووعورة الزمن
تخلصنا من طائر العزلة اللعين
وسراب الصحراوات المر
تخلصنا من بندول القدر المكفهر
وأحلامنا الجافة
كالزلط

والحصى
وكما أصبحت سيداً ولي أرض
أصبحت أنت ملكة
بتواريخ
وترجمانات
ساراي
ماذا تريدين أبعد من ذلك
أي أحلام لك لم تتحقق يا ساراي
صورك
منحوتة فوق معابد أور
وعلى بوابات طيبة
ومنف
لك يسجد كل من فوق هذه الأرض
باعتبارك ابنة الآلهة
وكهنة مصر
تحت إمرتك عجلات بدروع وألوية
من مدينة أون
وحتى قلب طيبة
تذكري يا ساراي
أنك ما جئت من أرض أور
وسط الصحراوات المرعبة
والوحوش الفراسة
إلا من أجل أن أزرعك في أرض مصر
أرض الفراعين
والسحر
بماذا نفعتنا كل آلهة آزر
وتماثيل كنعان
ونوارس نينوى
وزقورات بابل

ماذا أعطتنا أساطير جلجامش
وحانات سيدوري
آلهة السومريين
والبابليين العظام
بماذا نفعتنا عجائب نينوى
ذات الألواح
والكتابات المسمارية
هنا في أرض مصر كأنما يولد العالم للمرة الأولى
كان من الممكن أن نظل هكذا إلى الأبد يا ساراي
عريانين
جائعين
بلا ثروة
أو مجد
الآن
كل هذه الأرض رهن إشارتك أنت
كهنة فرعون
ومعابد أون
وصوامع آمون
لك
أنت وحدك يقدمون الصلوات والأدعية
باسمك ترفع القرابين
وجهك على كل عملة
وصك
كل كاهن في أون لا يفتتح صلاته إلا باسمك
أنت
أيتها النرجسة الفريدة
يا كنزي الحبيب
و يا لؤلؤة العالم
كل وصيفة لا تنال بركتها إلا إذا ركعت تحت قدميك

وقبلت أطراف أصابعك
ماذا تريدين بعد كل هذا من رجل عاجز
كهل
لا فعل لي أو قوة إلا الخرافات والسحر
أحيانـًا
ما يتراءى لي عالم غير هذا العالم
وأرض غير كل تلك الأرض
وسماوات أخرى
غير كل تلك السماوات
أنا أبحث عن روحي
وسط كل هذا الركام
والفوضى
كفى
كفى يا ساراي الجميلة
أنا ضائع بين آلهة آزر وآلهة المصريين
الأفكار تعمل في رأسي كالجواميس الهائجة
والجعارين
النطاطة
أنا الباحث عن شيء ولا أعرف ما هو
أفتش عن الحقيقة وراء كل هذه الظواهر
الظاهر لا يعنى الباطن أبداً
والباطن لا يكون شكل الظاهر كذلك
الحيرة تأكل روحي
والشك يملأ قلبي
أنا ضائع وأهوي في الفراغ
لا يقين تحت قدمي لأمشي عليه
ربما
أعود ثانية إلى الصحراوات التي تمثل خيال الظل
وظهيرة المغترب

ترى
أين أنت الآن يا هاجر
هاجر التي لم أطأها سوى مرة واحدة فقط
وأخذت بطنها تنبعج
مثل الكمثرى
وتتقشر مثل تينة
إسحق
إسحق
ساعدني يا بني
لساعات في الليل وأنا أجلس على فراشي
أقضم الفراغ مثل ثمرة حامضة
روحي تتفحم
ونفسي تتقشر كسرطان جلد
وثآليل
على العاصفة أتوكأ
وفي فمي لا تسكن سوى الضغينة
والمرارات
في رأسي تدور مدن بطواحين
وتنتقل أفكار
وتتقلب جنازات
على باب خيمتي تنطفئ سماوات بكواكب
وتزلزل أرض برواسي
وأعمدة
ثمة صلوات تختلط في قارورة نفسي
وتملأ خراب
أيامي
كيف أضع السكين على رأسك أنت يا إسحق
لم هذا الحلم الذي يتكرر ويتكرر إلى ما لانهاية
أن أذبحك بسكين

أي شيطان يعبث بي
ويضللني في السكك
إسحق
يا زهرتي البرية
ويأكل تعب أيامي الغليظة
إسحق
كيف أرى دمك وهو يسير على الطرقات
وبالأودية يختلط
هل يمكن لدمك أن يتجلط تحت قدمي
كالأغربة
والوطاويط
ثمة ثعابين تزحف على أرض روحي
فوق منحنيات طائرة
ودروب منفكة
ووحوش بأنياب وأظافر
تزأر بضراوة
في المناطق الأكثر نأيًا لإنسانيتي المنسحقة
أرى أشجاراً تتقصف
لم أكن نائمًا إذ ذاك
رأيت النجوم تهوي في البئر
وتتعلق بعمود خيمتي
قمري يسقط في المحاق وشمسي تتكسر
إلى آلاف الشظايا
كلابًا تنهش عظم روحي الصخابة
ألف أسد يزأر على بعد شبر
من نفسي الضالة
ما هذا الذي أراه يقف متربعًا على قاع جمجمتي
هل أخطأت يا إسحق حين تركت أرض أور
وتهت في البرية مثل ندم

بأنياب
وكلابات
أتكون هذه النهاية يا إسحق
أم لعنة آلهة أبي آزر
لماذا تركت ورائي كل شيء وهربت إلى الصحراء
عن أي شيء أفتش
وعلام أبحث وسط هذا الركام من الذكريات والقصص
أي هاجس شرير جعلني أضيع فوق تلك الأرض
كلما أحاول النوم يا إسحق
يلمع النصل تحت جفني كالوتر والقشة فوق الماء
أسمع صدى الموت
يرن
في قاع حنجرتي
ألحس دمك بشفتي
وألمس صدى السنوات كالشفرة
أشباحك تطاردني فوق مخداتي
كالقطط الشرسة
وأمسك بيدي سكيني مثل فأرة نادمة
وتتنطط
ثانية يلمع الصوت
اذبح إسحق
اذبح إسحق
هل يكون ذلك جزاء ما صنعت بإسماعيل أخيك
هاجر
فلذة كبدي وسقيفة روحي
أهي لعنة تلك المرأة تتساقط علي
مثل طائر أعمى
لماذا تركت هاجر في العراء هناك
في أرض كنعان

بلا عائل واحد
أو حتى رفيق
لم فعلت ما فعلت وطاوعت أمك يا إسحق
أنا ورقة ساقطة
وغصن شجرة منكسر
أنا متاهة الرمل
ولا جذر لي
وأشم الوجع بأنيابي
أسند اليأس بقامتي لئلا يتراجع
وأطارد المتاهة مثل بقة
لم كل هذه الرؤيا الآن يا إسحق
وبعد أن كبرت
وعجزت
بعد أن رأيتك بأم رأسي
وتشممت أنفاسك التي تشبه ورقة الحياة
قل لي:
ماذا أعمل هنا في قلب هذه المتاهة الشريرة يا إسحق
عين واحدة تترصدني
عين آزر
شمس واحدة تنطفئ تحت قدمي
شمس أمك
كلمة واحدة أحفظها عن ظهر قلب
الموت
شجرة واحدة أغرسها أمام شباك بيتي
الحرية
لم أملك فأسًا واحدة لأعمل حطابًا عند أحد
ولم أشرب من جرة جيراني قط
أين جوهرتك يا صحراء
أين كلماتك يا رمل

أين شوكتك يا جحيم
وأين غلبتك يا موت
أسأل لمَ تغرب الشمس كل يوم
ولمَ يشرق القمر كل ليلة
ألم يتعبا أبداً
ألم يتوقفا للحظة
لمَ تتوارى النجوم والأحلام خلف السحب والدجنة
وفي الليل
أتكوم أمام خيمتي كالنسانيس والبوم
بعمل يدي غرست وأكلت
وهأنذا في شيخوختي لا أجد غير الرمل
والدم
أحيانـًا
كنت أقهقه مثل حشرة
وأتلوى على الرمل مثل قنفذ
أجفف أوجاعي بالضحك
والنسيان
إلى أين نحن ذاهبان يا إسحق
ألكل ذلك نهاية
وما هي نهاية القصة؟؟
في أرض أور
كانت هناك الخمر والنساء
كانت هناك الضحكات الرنانة
والأماسي التي تمتلئ باللذة
في الأعالي ليس ثمة شيء
من الجالس هناك خلف كل هذه الأشياء
الشجر والرمل الجبال والأفلاك
الحياة والموت
الحشرات والحيات والطيور والأزهار

السحب والكواكب
كل شيء يذهب ليعود من جديد
ولا جديد تحت الشمس
وهنا
وفوق هذه الأرض
لا أجد سوى اليأس والموت
وفئران الحقل
في أوقاتي الكثيرة
وحين كان يشقني الضجر إلى نصفين
كنت أكلم الحجر والصخر
ولا يتردد في حنجرتي سوى الشوك
وأزهار العصافات
حين نزلت من أرض أور إلى أرض مصر
ساومت
وساومت
عملت مهرجاً في حاشية الفرعون
قدمت أمك وليمة لأعشاب البحر
أطعمت جسدها للكهنة
وكل أصحاب السلطة في مصر
قلت لهم : هاكم خبزي فكلوه
وهذا زرعي فاحصدوه
حديقتي مشاع لكم
وجسدها
لكل راغب
لم فعلت ما فعلت يا إسحق
والآن انظر
هأنذا وفي نهاية الرحلة أرى إني أذبحك
وبعد أن كبرت
واستويت

أأذبحك أنت يا إسحق
أي قدر شرير هذا الذي يتربص بي مثل لص
ويعبث بمصيري مثل ورقة
و تتدحرج على الأرض
حلم واحد يتكرر كل ليلة
أمام عيني
في يدي سكيني
وأنت ترقد تحت قدمي مثل نبتة
وأنا أحز رقبتك
مثل كبش
دمك يسيل على الأرض
كالبرك
والوحل
وأنت ابني
فلذه كبدي
لا تفعل شيئـًا أو تقاوم
ترقد مستسلمـًا لكل تلك القسوة اللامبررة
وكل هذا الشر
لم أفعل أنا بيدي هاتين ما لم يفعله أحد من آبائي
لم كل هذا الشر الذي يسكن في الدم
ويعشش على الأرض
مثل حوت بأنياب
ومخالب
ومن أجل أي شيء قطعت تلك الرحلة اللعينة
من قلب أور العاصية
إلى أرض كنعان الشريرة
بلا ربح واحد أمضي حياتي
خساراتي هائلة وبلا حد
لقد جئت في الوقت الخطأ يا إسحق

وما جنيت أي شيء
الميلاد مثل الموت
والبداية تعني النهاية دائماً
ولا جديد تحت كل هذه الشمس
باطل الأباطيل
الكل في العتمة
والظلمة جاثية
شمس تجنح إلى الزوال
وأخرى تتأهب للطلوع
الليل نفس الليل
والنهار نفس النهار
لعبة واحدة ومتكررة إلى ما لا نهاية
أي هدف
وأي غاية لجهد الإنسان الضائع
تحت عجلة الموت
قبلي قرون مضت
وبعدنا
قرون أخرى سوف تأتي لتخضر من جديد
يا لها من مسرحية بالية...
وخالية من الهدف
والهاوية تتربص
هل ثمة شيطان يتربص بي عند كل منحني
وتحت كل قنطرة
وجسد
يتلمظ
في النهاية
لماذا روحي ضائقة يا إسحق
وتشعر بالسأم واليأس
أنا ما اخترت هذه الحياة بيدي

ولا جئت إلى هذا العالم بمحض إرادة مني
فقط
الحياة هي التي اقتادتني يا بني مثل كلب
كان من الممكن أن يكون أبي حداداً
فأكون حداداً بدوري
كان من الممكن أن يكون خزافـًا
فأكون خزافـًا بدوري
لمَ كتب علي أن أكون ابن صانع آلهة
وتماثيل
لمَ تظهر هذه الصورة أمام عيني وتترسب في المخيلة
أن أذبحك
كيف أسلمك إلى الموت يا إسحق
وأنت
لم تعرف عن العالم أي شيء
ولم تر العالم بعد
أنا ممزق يا أسحق
قلبي يتكسر مثل طبق من الخزف
إلى ألف قطعة
وقطعة
هاجر تموت في الصحراء
ولا أعرف أين هي
ولا ما هو مصير إسماعيل ولدي البكر
ربما يكون الآن جثة
أو في بطن ذئب
لمَ طاوعت ساراي أمك وفعلت بها ما فعلت
أتكون تلك النهاية يا إسحق
أم هي لعبة آلهة آزر
اهدأ
اهدأ يا أبي

فلكل شيء تحت السماوات وقت
للحب وقت
وللموت وقت آخر
للضحك وقت
وللبكاء وقت آخر
للتذكر وقت
وللنسيان وقت آخر
الكل في المتاهة
والهاوية تتربص بالعالم
أين غلبتك يا موت
أين شوكتك يا جحيم!!

حلم البحّار الأعمى

...وأنا
الذي كنت أفكر في الحياة دائمـًا
كشيءٍ زائدٍ عن الحاجة تمامـًا
أكتب أطنانًا من القصائد الفارهةِ
وأمزقها عبر النافذةِ
هناك
ومن خلال الروح التي تتنطط مثل فأرٍ في مصيدة
في زاوية الفم ما يشبه القطط الميتة
في المعدة
ألم بحجم الميتافيزيقا
بين الأسنان هواء محبوس بطول سكة حديدْ
ماذا أفعل – أنا – إذا كنت لم أقرأ سقراط لحد الآن
وعلام يبحث أفلاطون خلف عربته المعطوبة هذه
والتي تجز الحياة من رقبتها!!
روحي مريضة بجدْ

وفي قلبي غثيان بحجم الكرةِ الأرضيةِ
بي
ألم في الرأس من ضراوة الحياة
هلم بنا لنجلس على طاولةٍ أخرى يا صديقْ
فكل الطاولات مشغولة كما ترى
الكل يريد الحياة
والكل يهرب من الحياة
والأحلام تتصاعد في الرأس مثل مفرزةٍ لجيش مهزومْ
أو عملة ذهبية مزورةْ
والموت
هذا الجنرال الأعمى ينزل بسقاطاته الكبيرة
ليبتلع السمكة في الشصِّ!!

شاعر

مجرد شاعر!
شاعر عبقري
شاعر مجنون
شاعر تافه
مجرد شاعر
يرى الليل من خرم إبرةٍ
ويحبس الزمن – على الطاولةِ – إلى جواره في أنبوبة غازْ
شاعر ذو مزايا مزدوجة
يعمل بائعـًا للأبقار بالنهارْ
وفي الليل يكنس النجوم من على طاولات المقاهي
ربما
لا ينال شيئـًا من هذه الحياة
بعد أن صارت مثل بهيمةٍ لا تعنيه أصلاً في شيء
يجلس إلى مكتبه بالساعات في انتظار أن يسمع مكالمةً هاتفيةً

من أحد ويتخيل نفسه بحاراً ليصل إلى قارات أناي
من تلك التي يتخيلها العقل أو توجد على الأطالس
يتخيل نفسه رجل ساعاتٍ يصلح العقارات المعطوبة
ويعرف كيف يضبط الزمنْ
وقد يتخيل نفسه – أخيراً – سفينةً شراعيةً تدور
بين المجرّاتِ والكواكب
بعد أن خرجت من نطاق الجاذبية فلا تلاحقه الهزائم
أو يعتوره الجنونْ
وبعد أن يفرغ من كل ذلك تمامًا
يجلس إلى مكتبه بالساعات في انتظار أن يسمع مكالمةً هاتفيةً
من أحدْ
أن تأتيه كلمة
مجرد كلمة أجيرة من تحت عُقْب البابْ
عليها بعض التجاعيد
وقليل من حبات العرق
وربما يفكر
في أن يعيد ترتيب أوراقه القديمة
عن السكك
وأبناء الشوارعِ
وبائعي العرق سوس
وكرّاسات اسبينوزا عن اللاهوت
والسياسة
وكتاب الموتى في جبانات مصر القديمة
هل البحر بعيد عن هنا
هل الأرض فعلاً ذرة ين المجرّات
هل السماء واطئة إلى هذا الحدّ
لكي تنام قلعة جرامشي
أمام بوابة مقبرة؟!

عربة كانط المحملة بالأخطاء دائمـًا

لا تسخروا مني يا أبناء الكلاب والقطط
فحياتنا الوسخة هذه لا تشبه إلا غرفة إنعاشٍ
أو بصلةً مدوِّدة!!
كلماتنا التي كنا نحسبها مقدسةً
أو شبه مقدسةٍ
لا تصلح لإيواء فردة حذاء فوق سطح زريبة خنازيرْ
فقط
نتوقف تحت الأرصفة الغائبة عن الوعي
وأمام المستشفيات العمومية
من أجل أن نتقاتل على حفنةٍ من الهواء
الذي يشبه الروث الجافّ
أو طبقٍ من الفاصوليا
في الحذاء الإنساني الواسعِ
في الطرقات الراسخة للمدن الرحبة
نطارد الذباب
والسحاليْ
كالقططِ الجائعةِ
وننام أمام الصيدليات العامة كمخلفات حربٍ كونيةٍ
أو كمتسولين عظام
من أجل حقنة ماكس فورتْ!
ماذا نصنع في هذا الوقت من الليل
سوى إصلاح المواسير المعطوبة
للإنسانية المعطلِة
وانتظار طاقية الإخفاء
على عربة كانط المحملة بالأخطاء دائمـًا
هلموا
هلموا

يا أبناء القطط والكلاب
من قبل أن تمتلئ الصحراوات بالجثث
في مقابر الصدقة الجاريةْ
سوف نلتقي الليلة وسكان الكواكب
المجاورة!!

مقهى ريش

في السماء الأقرب من راحة اليد
في الدورةِ الدموية الأعمق من الكلوروفيل
في العين
الأبعد من حدود السماء الراسخةْ
في البنطلون الأقرب إلى من الأنف والأذن والحنجرةْ
في الفوط
المعلقة على المشجب الخلفي
للفراغ
في هذه الحياة الوسخة التي أعرفها عن ظهر قلب
أجلس لأتأكد
أن العين لا تزال في مؤخرةِ الرأس
– وتعمل بكفاءة عشرة عمال نظافةِ
على الأقل –
وأن القلب ما زال ينبض في السترةِ الخلفيةِ للزمن
في السماء الأقرب من راحة اليد
أجلس لأتأكد
أن الرصيف المقابل للعالم ما زال يعمل
بكفاءة سترةِ إنقاذ
– وكما هي العادة دائمًا من السابعة صباحًا
وحتى العاشرة ليلاً
مثل صيدلية عمومية –

أن القمر بفوانيسه الكبريتية
وانشقاقاتهِ
بمربعاته
ومثلثاتهِ
لا يزال يدخن الماريجوانا
فوق صحراء الربع الخالي
ماذا أقول عن نفسي التي تنزعج من اليود والبوتاسيوم
ورائحة السياسة في العالم الثالث
التي تشبه البول المجفف للماعز
والأغنام
عن المجازر الجماعية والفردية
في النجف
وكربلاء
ما الذي يمكنني أن أقوله عن التآكل اللاإرادي
للإرادة الحرةِ
وتفكّك الوعي الكوني
للأنثروبولوجيا
عن هذه القطط التي تنام في المخيلة
وتخربش في الذاكرة
وتبحلق من النافذةِ مثل أفعى استوائية
أو كسقاطة لحقل محروقٍ
في منزلٍ مجاورٍ
ماذا يمكن أن أقول عن نباتات الظل الحارقةِ
والتي تعمل بالغاز الطبيعي
وتنام تحت سقف بيتي كالمخدراتْ
وهي تصعد وتهبط كالإسفنجِ المكربنِ
فوق قارات جسمي غير المترابطة بالأساس
ولا تتوقف
عند هبوب أية عاصفةٍ أو تشققاتٍ تحدث

في الطبقات البنكرياسية الأعمق
للعالم!!
ما الذي يمكنني أن أقوله عن الليلِ الذي يخاف من الليل
وينعس في المخيلةِ كالوطاويطِ
وبقامته هذه
الأكثر ثقلاً من جبل ببراكينْ
ما الذي يمكنني أن أقوله عن الهواء الذي يخرج
من البنايات المجاورةِ لروحي تماماً
كالأثداء
المتغضنة لامرأةٍ في السبعين
وهو يشمخ عبر الأنف
والذاكرة
فيما أصابعه الحمرَاء المدهونة بالنفايات وخبث الحديد
والكربون المشع
تنطبع على الحوائط
والجدران
مثل أشباح والت ديزني
ماذا أقول عن الأمل الذي أعبئه في برطمانٍ
من النوستالوجيا
وأنا متأكد من وساخته تماماً
بعيداً عن الأحبال الصوتية
ومدائن الغبار هذه
في السماء الأقرب من راحة اليد
في العين اللّماعة الأبعد من حدود السماء
أجلس لأتأكد!!
أنني ما زلت هنا
في قلب العالم
وعلى هذا الرصيف بالذات
وتحت تلك النجمة

الواطئةِ
وأمام كل هذه الحياة الورقية المعطلة
والكائنات الضالة
أجلس لأشرب البيرة المثلجة
ثلاث مرات – على الأقل – يوميًا
من يد فلفل بفوطته الصفراءْ
داخل مقهى ريش
ذات عصريةٍ مهربة!!

ذاتيتي

أكتب عن ذاتيتي المحطمة
ذاتيتي المفخخة التي تعبت من المصلِ واللقاحِ
من الانتظار القلق
على المحطاتِ
والأرصفةِ
وفي قلب الدواوين الحكومية!!
أكتب عن ذاتيتي التي أحملها معي مثل طفلٍ معوِّقٍ
أو جهاز لقياس الضغط
وأضعها في مظروفٍ مغلق
ثم أعلقها على حبل غسيل
وأتركها داخل أول عربة قطار يصادفني
وعلى أقرب مقعد
لتسافر
إلى أين
لا أعرف؟!
لِمَ لا أجازف بحمل ذاتيتي هذه خارج نطاق الكرة الأرضية
وأعمل على تشغيلها كوقّادٍ
وأصمْ

لا ينظر إلى ساعته التي تتكتك من البرد
أو يفكر في الموت بالأساسْ
لِمَ لا أحبس ذاتيتي هذه في غرفةٍ جانبيةٍ
بستة محابس
وأربعة جرذانٍ
وأخرج إلى غير ما وجهةٍ
ربما أصطاد وعلاً
أو أطارد فراشةً
– ولِمَ لا أبحث عن عملٍ
أن العاطل عن العمل دائمـًا –
أو
لأتلصص– مثلاً – على امرأةٍ تفوح منها
روائح الصندلِ
والعبير
فوق سطحِ مجاورْ
وهي تكشف لي عن ساقيها
عن عمدٍ
وسبق إصرار
لِمَ لا أتوقف أمام عربة رش حكوميةٍ لأستحضر
في ذهني صورة المراعي
وكل تلك الأمطار التي تسقط عموديـًا في الرأسْ
لِمَ
لا أجلس أنا وذاتيتي معـًا على رصيف الحياة
الخالي من المارةِ تمامـًا
وندلق على هذا العالم الخرب
جردل نفايات
ربما
سيحلو لي أخيراً
أن أترك ذاتيتي المفخخة هذه

أمام بائع روبابيكيا
ودون – حتى – أن أطالبه بالثمن!!

صانع الأقفال

ربما،
كان يتعين عليه أن يتوقف فوق هذه الحجارةِ أو تلك
ليكتب عليها آخر كلماتهِ التي تشبه الزكامْ
ويخطها عبر الريح والآجر
وربما، كان يتعين عليه كذلك أن ينزل النهر مرتين
ومثلما فعل هيراقليطس من قبل
وداخل فقاعة صابونْ
لكي يغسل الجسد الملآن بالقروح
والدبابيسْ
ويغطس الروح كالحجارةِ
في الماء الضحل
حتى لا تتبلل أو تبلغ سافية الرملِ
هل تذكر حكاية أيوب بغتة
أم صراع الملاك في أرض كنعان
مع النبي يعقوب؟!
لا
لم يكن يكلم أحداً أو يحاول أن يقترب من أحدٍ
فقط
كان هذا هو شأنه دائمًا وكلما أراد أن يصنع أحد الأقفال
أو يسن المفاتيح
لأن الصمت الذي كان يعتوره وكان يخبئه عن المارة
وصانعي الأقفال
هو وحده الذي كان يحلو له أن يصنع منه أفكاره
المطرّزة بالمسامير

والتي تشبه الجواسيس الهائجة
في سوق الثلاثاء
وكلما جنّ عليه الليل
ورأى القمر بازغـًا!!

صورة وصفية

أنا
وكلاب الشوارع والليل
نلعب – السيجة – على الرمل
فيما كان البحر ذلك العجوز الأخرق يتنزه بمفرده
على الشاطئ
وها هو ذا القمر السهران
ينزع أرديته البردانة عن أشجار الكافور
والسلق
والبيوت القديمة
والليل
ويقف بصندله المعوجِّ
لكي يجفف ماهيته التي أخذت تتآكل
بفعل النسيان
والظمأ
في طبق من الكرتون الجائر
ويقشر سنواته التي لا يتذكرها
على أديم السماوات والأرض
وها هي ذي خنافس الليل السوداءْ
تنزو
على جلباب الطبيعة
التي راحت تتثاءبْ.

الموسوعي

أنا
الموسوعي الأعمى
الذي يجدل الهواء ليطلع على سلالمهِ العاليةِ الرفيعة
درجةً إثر درجة
من أجل البحث عن فردةِ حذاءٍ ناشفةٍ
أو حتى زاوية خربة ليقيم عليها بقية النهار
أو ينام تحت عرشها
في هذه الوحدة الشرسة
أمسك بمزولة الشمس المصنوعة من خشب الديانات
العتيقة
وعربات اللذة الخاوية
لكي أذريها عبر المقاهي والأرصفة
كتذكار أكيد على غيبة الوعي الكوني للخلايا
وانزلاق قمر المحاق الأسود
على زلاجة الأنساق العمياء للعدم
وفوق كل تلك الأرض التي تمتلئ بالطحالب المتوحشة
والأحلام الممغنطة
للزهور الاصطناعية السوداءْ
أين أنت يا شوارع الليل الفخمة؟!
الحياة من منظور أرنب
أكتب عن حجر الرحى والشمس
عن الحياة الإسطقس
والحياة الضرورةِ!!
اليوم
أفرد ذراعي عن آخرها
لأكشف عما في قانون الجاذبية من تناقض
أو لأتتبع الخرائط السرية للعالم الهيولي

والعالم اللامرئي
للسلاحفِ
ماذا فعلت في كل هذه الحياة
ماذا أفعل أنا في كل هذه الحياة
سوى أن أزرِّر ياقة قميصي في الليل
وأفرد شعر رأسي الذي يشبه سلسلةً جبليةً
فوق أصقاع خنفسةٍ
ميتةٍ
وأقول لنفسي:
تف على هذا العالم
تف على هذه الحياة التي تشبه جردل نفاياتٍ
باذخٍ
فوق صفيحة زبالةٍ
محروقةْ
هناك في الجحيم دائمًا ما يكفي من الوقت
لكي نحكي عن هذه الحياة الفقمةِ
والحياة الشريرةِ
أنا الكائن القردي الضخم
صاحب العوينات
والميتافيزيقا
لا شيء يشبهني في هذا العالم
سوى أنفي الذي يتمخط عبر النافذةِ
والهرمنيوطيقا!!

حجر الأفاعي

تُرى
ما الذي تفعله هذه النملة العمياء
وهي تسير في خطواتٍ منتظمة حينًا

وغير منتظمة حينًا آخر
سوى أن تتوقف هنا أو هناك أمام عجلة الحظّ السيئ
على حجر ناتئ
تحت قوس السماء الواطئ دائمـًا
والمنحرف أبداً
وهي تصعد وتهبط مثل قطعة فلينٍ تطفو
فوق تلٍ من النفايات الشاهقة
والعدم المحض
لكي تتأمل ملايين الأفكار والخطط المدروسة
واللامدروسة في نفس الوقت
عن كل تلك الرحلة اللعينة التي تقطعها سيراً على الأقدام
من مطلع الشمس إلى مغربها
فوق حجرٍ يكتظُّ بالأفاعي.

كمال سبتي

في الزحام الأخير للمربد السابع رأيت وجهك
الذي يشبه عربة إسعافٍ معطوبةْ
وبصعوبةٍ بالغةٍ بادلتك التحية
كانت كلماتك التي تخرج من بين شفتيك
مثل العصافير الجريحة
فوق أشجار الكمون
والطلحْ!!
وعلامات الدمع ترتسم على وجهك كشرايين دجلة المحمصة
والتي أنهكتها الغزوات
وجثث القتلى من المغوليين
والرعاةِ
وحاملي البلط والسيوف
ولم تكن تملك وقتها أية كلمات سوى الصمتْ

تلك اللغة – الأثيمة – التي تعرف كيف تروضها جيداً
بين شفتيك
أو تبددها في الهواء الضحل
عبر الفراغ
والعدم
ثم تنصبها هناك في العراء الطلق مثل خيمة الراعي
ومن خلال أصابعك التي تنز بالدم والحجارة
وكانت دموعك تنزل قطرةً إثر قطرة
وكأنما هي المداد الحي الذي سوف تكتب به مرثيتك الأخيرة
لبغداد الجريحة
هذه المدينة التي سقطت دائمًا في الأسر
وخلعت ثوبها الأرجواني لتلبس شارة الحداد والحدود
وتعصِّب رأسها بشالٍ من الكشمير الموصلي
وزهرات النيلوفر
التي تنمو وبغزارة على جبال مندلي
وحاج عمرانْ
فيما عصافيرك السوداء
– والتي تحاول أن تنشد الراحة في لحظات الجحيم والقصف –
تقف على كتفيك كشارةٍ أخيرةٍ لجنودِ المظلاتِ
الذين يهبطون في الفجرِ
وعلى أعينهم رائحة النخل
لتلتقط نظرة أخيرة من ندى الليل
أو من ماء دجلة الذي لوثته السنابك
والخيلْ
وفيما
كنت تضحك أنت وبضراوةٍ بالغةٍ من حاملات الطائرات الأمريكية
التي راحت تصبُّ الجحيم
والموت
في قلب العاصمة العاصية بغداد

ولم يكن يشغلك في ذلك الوقت سوى دجلة الكليم أبداً
ذلك النهر الذي ينبع من السماء دائمـًا
ويصبْ هناك تحت تمثال أبي نواسٍ
وفي داخل خان مرجان
يبحث لنفسهِ عن مستقرٍ ومستودع
أو عن عشيقةٍ تعرف كيف تصنع الشاي العراقي
لجلجامش العظيم
بعد رحلته المرهقة الشاقة وهو يفتش عن عشبة الخلود
كما تعرف – وفي الآن نفسه – كيف تقشر القنابل العنقودية
من على جسدها الحيّ
الذي ملأته الدمامل والثآليل
وسط كل هذا الخراب
الفادحْ!!

مجاز مرسل

في أذني تهتف فراشة ضالةْ
على باب بيتي يقف سائق سيارةٍ إسعاف ليسأل
عن هذه السيدة التي تقطن في الأعالي
وتقيم بمفردها مع حيواناتها الضالة
وقططها الميتةِ
على النافذةِ
ثمة سلك شائك وبضع سيمفونياتْ
لا تزال تراوح مكانها على الرخام الأبيض
للعتمة
وعلب الصفيحْ
فوق حصيرة الأمس البالية أتردد قليلاً في فتح الباب
ريثما تدق الساعة الرملية للزمن
على شرفةِ صندلٍ معوجْ

ليس في بيتي أي شيء كي أخاف عليه من اليتمِ
سوى مؤخرةِ تلك المرأة التي صنعها سلفادور دالي
من بقايا أقمشة الكتّان
والبفتة البيضاء
وهناك
القليل من ذكرياته الشائهة.

صباحية إلى ف.ع

صديقي
الذي يعبر الشوارع والقطط
في الليل
ويجلس على المقهى
مثل شيخ في السبعين
ولا يعير انتباهاً لأي شيء
سوى دخان سيجارته الزرقاءْ
وقططه المتوحشة التي تتناسل في الفراغ
والعتمةِ
فيما شبح قطار يأتي من بعيد
من قلب الضواحي
ليعبر أمامه
وعبر نافذة بيته
قاطعاً الزمنْ
بمذراته الخشبية التي تجففّ الشمس
مثل سكة حديد
صديقي هذا
رجل قفازات
ومشانق
ولا يعمل إلا وفق جغرافيته الخاصة

وفوق ساعةٍ ميكانيكيةٍ
معطلةٍ دائمـًا!!

ساعة الحائط

في الرنين الأجوف لساعة الحائط
يجلس الزمن – فوق كرسيه المعتاد – ليتذكر أن ما قطعه من مسافةٍ
لا يكفي بالكاد لكي يتزحزح مليمتراً واحداً
من على مقعده المعتاد
أو من على الحائط اللازوردي للسماء المزركشةِ بالنجوم
وأن أرنبـًا صغيراً – من النحاس والفضة –
يمكن – له – أن يحمل في رأسه من الأفكار والخطط
ما يكفي لكي يجعل الأرض كلها
تقف على سن إبرةٍ
وها هي السماء
تنفجر داخل إطار سيارةٍ
فارغْ!
وتريق كلماتها الفارهة على الأرض
تلك الكلمات التي تتقاسمها القطط والكلاب
فوق فوهةٍ فارغةٍ
لقنينةٍ
من سلاحف
وكهرمانات!!

ربات الشعر

ماذا تفعل ربات الشعر الآن
سوى أن تجلس القرفصاء في ركنٍ جانبي من المقهى المجاور
لكي تدخن الشيشة
أو تمضغ حشيشة الماريجوانا في الليل

في ذلك الوقت
الذي يمسحُ فيه النادل عن عينيه ذبابة التثاؤب الهرمة
وهو يمتخط في كم قميصه الساتان
أو يفرك سيجارته السبارس
وقد ارتكن إلى جدارٍ من الصفيح
والآجرّ
أو ليصنع لنفسهِ كوبًا من الباذنجان المخلل
واللفتْ
وإذ ينظر – النادل – من خلال الباب الزجاجي للمقهى
يكتشف أن الغيوم التي كان يراها عبر النافذةِ
والعالم
تتكدّس هناك على طرف الطاولةِ
كالعصافير الجريحة
وها هي ذي عربة إسعافٍ هائلة
– تعبر الأفق بسرعةٍ جنونيةٍ –
مخلفةً وراءها على أرضية الشارع
ذلك الرنين الأجوف لرجلٍ كان يحتضن السماء
في علبة كبريت
فيما كان اسخيليوس العظيم
بحزم حقيبته المملوءة بالدودِ
والعناكب
ويركب عربة قطارٍ من رمادٍ وقش!!

التجربة

في ذلك المسلخ البشري الذي صنعه الرومانْ
حول بحيرة طبرية
وقفت العذراء مريم ذات مساء
بشالها الأخضر

وشعرها الدؤوب
وهي تنظر إلى السماء الواسعة بعينين داميتين
وشفتين ترتعشان من الفزعِ
والرعب
وذلك من خلال فجواتها الإسفنجية الدافقةِ
وحجارتها التي تتساقط على الرّامةِ
كالشهبِ
والمُهلْ
وإذ أبصرت نجمة الصبح اللّماعة
ظلت تهذي:
إلهي
سيدي
خذ هذه الكأس عني
ما عدت أحتملْ
أرجوك
وبينما كان المصلوب يقف وحيداً على الجلجثة وهو يصرخ من شدةِ الظمأ
والحر
كان الجنود الرومان يكيلون له السباب والشتائم
ويمطرونه بالحرابِ المسننةِ
والبُلَطْ
ويدقون المسامير في الرسغين الأبيض
ويكللون الرأس بكسرٍ من الزجاج
والشوكْ
فيما كان ملاك الرب الحارس ميخائيل
ينزل من السماء الوسيعة – ذات الحُبُك والمصابيح –
على سلالمه العالية الرفيعة
لينظر إلى كل تلك الجلبة التي تتصاعد
من تحت
وحول بحيرةِ طبرية

ومن هناك
وفوق هذه الكرة الصغيرة المعلقة في الفراغ الضخمْ
وقفت امرأة لتقول:
إلهي
سيدي
خذ هذه الكأس عني أرجوك
ما عدت أحتمل
يا صاحب البستان
والشوك.

عصا الراعي

عندما تكتب عن النقط والحروف التي تتعالى بداخلك
لتشكل وفي نهاية الأمر طبقـًا اسطوانيـًا
من الكوابيس
والفحمْ
ولا يتبقى أمامك وفي مخيلتك
سوى غبار الزمن بوحوشه المتضررةِ جوعـًا
ونباتاته الفرّاسة
وتترك لرأسك فرصةً سانحةً للاستواء جانبيـًا
على الأقل
بحيث يمكن لك ومن خلال النظرة الأجيرة هذه
أو تلك
أن تنظر إلى كل تلك السماوات باتساعها الراسخِ
وهي تضم كافة القواميس التي خلّفها وراءه الربَّ
في مكتبته العمومية
وبأدوات صيدهِ وقنصهِ
والتي ترى فيها الغزلان الجريحة جنبـًا إلى جنبٍ
مع كافة اللدائن اللاإنسانية للبلدان المتفحمةِ

والمدن المحروقة
والأسلحة الجرثومية الفتاكة
والقنابل العنقودية الفسفورية
مع أعشاب البر و البحر
وسرطاناتهِ الهائلةِ
عندئذٍ
لن يكون هناك أمامك سوى مجموعةٍ من النجوم
الناصعةِ
المترامية
والتي تقف على مرمى حجرٍ
من يأسك الكامل
وعنفواناتك
فيما شمسك التي أخذت تشيخ بالفعل
تقف مثل عصا الراعي!!

مصائر ومصائر

نعم
سوف يضمنا الموت في جوال قماتهِ الضخمْ
وهو يلعن تلك الوحدة الشرهة التي يقضيها أثناء
نوبته اليومية المبكرة في الحراسةِ
والظلّ
فيما ينفث دخان سيجارته الوحيدة
من خلال منخاريه اللذين يشبهان
عربةَ رشٍ
أو سفينة إنقاذٍ
وها هو ذا
يقف شابكـًا ذراعيه العنكبوتيتين
على شاهدة المقبرة الواسعة

التي تسمى الأرضْ
وهاشـًا
في الوقت ذاته عن وجهه السيراميكي
ذبابة الزمنْ
الجعدة!!

الأرغن في كنيسته ويعمل وحيداً

أنا الذي أكتب الشعر بلا شفقةٍ من أحدٍ
أو غطاءٍ صالح للروح
سوف أباغتكم بعجلاتي المطاطية
التي تعبر السماء من جهةٍ إلى جهةٍ
بدون شهقةٍ واحدةٍ
أو رنة زفيرْ
سوف أجلس على الكرسي الذي صنعه لي أبيْ
من الرخام والآجر
وأروح أذرع السماء جيئة وذهابـًا
بحثـًا عن ملاذٍ آمنٍ
أو ملائكةٍ طيبين
وحورياتٍ
من ماسٍ
وأرجوانٍ
وهن ينتصبن في الفضاء الوسيع
مثل عرائس الكروم المخضلة بالندى
وفوق بحيراتٍ من عسل مصفى
وأنهار من خمرٍ ولبنٍ
وتحت المذاق نخل
ورمَّان
يغنين أغنياتهن التي تُسعد القلبْ

وتملأ البدن بالدهشة
وسوف أنقلّ قدمي بخفةِ طائر أعمى
من هوّةٍ إلى هوةٍ
ومن متاهةٍ إلى متاهةٍ
لعلى أعثر أخيراً على الجحيم المنقعرِ
أو تلك الجنة الموعودة
لأفتح ما بها من غرفٍ غرفةً غرفةً
ولأجلس فوق نمارقها المصفوفة
ساعةً أو بعض ساعة
وأصطاد فراشةً بريةً
تعمل لصالحي وفي نهاية الأمر
أما
إذا لم أجد أي شيء هناك على الإطلاقْ
فسوف أضع إحدى يدى في جيبي
وأصفّر منفرداً – في الخلاء الضحل –
كالضالين
وسوف أعود لأقطع السماء ثانيةً
من ناحيةٍ مغايرةٍ
– على عربةٍ من قشٍ واسطرلاباتٍ –
وأتطلع جيداً على الأرضْ
هذه الثمرة المعطوبة
ذات الأبهةِ
والرفشِ
ربما أعثر على تلك الشمس
التي تقيني عبء كل هذا الليلْ
أين أنت أيتها الأفكار التي تنقَّر بمناقيرها الفولاذية
فوق هضبة الرأس العجوزْ
ماذا صنعتِ بسائقكِ الملكي
وإلى أين مضيتِ بيْ

أو جنحتِ
أنا الذي أحمل في داخلي أكثر من جحيم واحدٍ
وربما الآلاف المؤلفة
من يوحنا المعمدان
فوق جبل الرب المسكون بالمردةِ
والشياطين هذه
وأمام بوابة أورشليم
مدينته العاصية
الزانية القلب
أنا الذي أكتب الشعر
بلا شفقةٍ من أحدٍ
أو غطاءٍ خالصٍ
للروح!!

القرين

شددته من أذنيه
وعلقته في سافيةِ الرمل
أرخيت له الحبل – على الغارب –
وقدمت له المنّ
والسلوى
أطعمته السكاكر
وأرشدت إليه الكوابيس في الليلْ
سلطت عليهِ قطط النهار الجارحةِ
وجواميس الليل
الصخَّابة
وقلت له: فلتذهب إلى الجحيم إذنْ!!
أجلسته على المائدةِ إلى جواري
وجعلته يسكر حتى الصباح

أوقفته معي تحت الشبابيك
وحوائط الليل المبطنةِ بالرعب
مشّطت له شعره الطويلِ تحت شمس الظهيرةِ الفظةِ
وقدمت له كل ما فِي جيبي من عملةٍ ورقيةٍ
وجلبت له فوق ما يشتهي من النساءِ
والرزق
هدّدته بالقتل ذات مرة أو إلقائه من النافذةِ
لكي يدوسه المارة بالأقدام
إن هو حاول إعاقتي أو التشويش عليّ
وأخيراً أمسكته من رقبتهِ وقلت له:
يا أخي
اتركني وشأني أرجوك
أريد أن أنام
فأخرج لي لسانه وقهقه قهقهةً
مميتةً
ذلك الأشيب العجوزْ!!

إيليا في العاصفة

ضائقة – هي – نفسي التي بين جنبيّ
على جبيني يتعفّرُ الحصي
ويتبلل الماء
بالليلْ
في أنفي رمل بأشواكٍ
ومزاميرْ
كلماتي لا تصعدُ إلا على سقالةٍ من مياهٍ جارحةٍ
وفي جوفي تسكن الوحوش النطاطة
والزواحف التي لا تسير إلا على أرضٍ
بمساميرْ

في الطرق التي بلا رحمةٍ أمشي
وأمسك الشمس من أطرافها
لماذا بلوتني أيها الأب الإله
يا صانع الرحمة
والعدلْ
ألم تكن يدك الرحيمة تصنع خلاصـًا للعالم
وبنفسك تسكّن وحوش الغابْ
في الطرق الخاطئة دائمـًا
ما تزل قدمي
وتعثر نفسي التي بين جنبيّ
هواؤك زلزلة للمسكونةِ
وأرض ميعادك
دمْ
ومعاول
على من تقوم صلواتكِ
وفي أي وادٍ تسكن يا شبيه العاصفة والظل
أن تكن الشمس
فنبصرك في الظهيرةِ
وأن تكن القمرْ
فلتبسط يدك على الليلْ
مياه أنهارك ساكنةٌ
وبحرك بعيد الغورْ
ومياه روحي آخذة في الهلاكْ
أين هي الطريق
قل ليْ
في مساكن الظل العالية
تجرعت ثمرة البكاءْ حتى اندحرت
وفي قلب العاصفةِ
أمسكت بشراشر الألم

انجرحت نفسي على الصخر
وتدلدلت رجليّ في الخطأ
حتى تحولت إلى عمود ملحٍ
في مساكنك العالية أنهار خمرٍ ولبنْ
وفي مساكن الأشرار
طغيان
وظلمة
قل لي:
أين هي الطريق حقـًا
وأين يسكن النور
يا صانع الرحمة
والعدلْ؟!